



رؤية نقدية للاتجاهات النظرية الحديثة فى علم الاجتماع
critical vision To ratify the modern theory in sociology

إعداد

د. إيمان محمد فهمى البيسى
Eman Mohamed Fahmy El Beisy

مدرس علم النفس والاجتماع - حاصلة على الدكتوراه - كلية الآداب - جامعة
الإسكندرية

Doi: 10.21608/ajahs.2023.307807

استلام البحث ٢٢ / ٤ / ٢٣

قبول البحث ١٠ / ٥ / ٢٣

البيسى، إيمان محمد فهمى (٢٠٢٣). رؤية نقدية للاتجاهات النظرية الحديثة فى علم الاجتماع. *المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧ (٢٧) يوليو، ١٢٧ - ١٧٨.

<http://ajahs.journals.ekb.eg>

رؤية نقدية للاتجاهات النظرية الحديثة في علم الاجتماع

المستخلص:

تتضمن النظرية مجموع المعارف المنظمة والفرضيات التي يمكن من خلالها التحقق التجريبي من الظاهرة والتنبؤ باتجاهات تطورها، أو من حيث أنها تستطيع الكشف عن بعض المشكلات العلمية. فبدون النظرية تصبح الحقائق التي يجمعها العلماء من خلال ملاحظاتهم حشداً هائلاً غير منظم وغير مفيد من الملاحظات. فهناك بين علماء الاجتماع من يقتصر عملهم على مجرد جمع وقائع جزئية عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية دون أن تؤدي هذه الوقائع إلى صياغة نظرية عامة عن المجتمع ودون أن يسترشدوا في جمع هذه الوقائع بنظرية عامة. مما يجعل هذه البحوث عديمة القيمة، أو قليلة على أحسن تقدير بالنسبة لتطور المعرفة العلمية بالمجتمع البشري. وهناك فريق آخر من علماء الاجتماع يقومون بصياغة نظريات عامة عن المجتمع تتصف بالصبغة التأملية أو المكتبية دون أن تعتمد هذه النظريات على وقائع تمت ملاحظتها والتأكد من صحتها ودون اختبار لما تتضمنه هذه النظريات من تعميمات واستنتاجات. وقد أطلق رايت ميلز على الفريق الأول أصحاب اتجاه الإمبريقية أو التجريبية المتجزأة، وعلى الفريق الثاني أصحاب اتجاه النظريات المتضخمة. ويبين ميلز عقم الاتجاهين، وأن كلا منهما يؤدي إلى عرقلة نمو علم الاجتماع ويعوق الوصول إلى الفهم العلمي السليم للظواهر الاجتماعية. وخرجت النتائج تؤكد تصور ميلز لمجال علم الاجتماع ومهامه نتائج منهجية عديدة، فهو لم يحاول أن يحاكي معاصريه من الباحثين في علم الاجتماع في تجميع المعطيات الكمية عن الظواهر الاجتماعية، كما أنه كان يبدي تيرمة بكل أشكال التجريد وذلك لأن إهتمامه كان مركزاً في دراسة مجتمع معين في زمان ومكان محددين، وكان هدفه هو فهم هذا المجتمع في حدوده التاريخية والمكانية والاجتماعية والثقافية.

Abstract:

The theory includes the collection of organized knowledge and hypotheses through which it is possible to experimentally verify the phenomenon and predict the directions of its development, or in that it can reveal some scientific problems. Without theory, the facts that scientists gather through their observations become an unhelpful, disorganized swarm of observations. There are among sociologists those whose work is limited to simply collecting partial facts about some aspects of social life without these facts leading to the formulation of a

general theory about society and without being guided in collecting these facts by a general theory. Which makes this research worthless, or at best little in terms of development Scientific knowledge of human society. There is another group of sociologists who formulate general theories about society that are speculative or librarian without these theories relying on observed facts and verifying their validity and without testing the generalizations and conclusions that these theories contain. Wright Mills called the first group the proponents of obstructed empiricism, and the second group the proponents of grand theories. Mills shows the sterility of the two trends, and that each of them hinders the growth of sociology and impedes access to a sound scientific understanding of social phenomena. Results: From the foregoing, it is clear that Mills' perception of the field of sociology and its tasks had many methodological results. He did not try to imitate his contemporaries of sociology researchers in collecting quantitative data on social phenomena, and he was also displeased with all forms of abstraction, because his interest was focused on studying A specific society in a specific time and place, and his goal was to understand this society in its historical, spatial, social and cultural borders, and to spread this understanding to the people in the society and the world in which they live.

مقدمة

تتضمن النظرية مجموع المعارف المنظمة والفرضيات التي يمكن من خلالها التحقق التجريبي من الظاهرة والتنبؤ باتجاهات تطوره، أو من حيث أنها تستطيع الكشف عن بعض المشكلات العلمية.

فبدون النظرية تصبح الحقائق التي يجمعها العلماء من خلال ملاحظاتهم حشداً هائلاً غير منظم وغير مفيد من الملاحظات. فهناك بين علماء الاجتماع من يقتصر عملهم على مجرد جمع وقائع جزئية عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية دون أن تؤدي هذه الوقائع إلى صياغة نظرية عامة عن المجتمع ودون أن يسترشدوا في جمع هذه الوقائع بنظرية عامة. مما يجعل هذه البحوث عديمة القيمة، أو قليلة على أحسن تقدير بالنسبة لتطور المعرفة العلمية بالمجتمع البشري. وهناك فريق آخر من

علماء الاجتماع يقومون بصياغة نظريات عامة عن المجتمع تتصف بالصبغة التأملية أو المكتبية دون أن تعتمد هذه النظريات على وقائع تمت ملاحظتها والتأكد من صحتها ودون اختبار لما تتضمنه هذه النظريات من تعميمات واستنتاجات. وقد أطلق رايت ميلز على الفريق الأول أصحاب اتجاه الإمبريقية أو التجريبية المتجزأة *Obstructed Empiricism*، وعلى الفريق الثاني أصحاب اتجاه النظريات المتضخمة *Grand Theories*. ويبين ميلز عقم الاتجاهين، وأن كلا منهما يؤدي إلى عرقلة نمو علم الاجتماع ويعوق الوصول إلى الفهم العلمي السليم للظواهر الاجتماعية.

وبالبحث في ميدان العلوم الاجتماعية بوجه عام وفي ميدان علم الاجتماع بصفة خاصة سوف يواجه بتعدد النظريات العامة التي تدعى كل منها أنها تفسر ظاهرة الحياة الاجتماعية بوجه عام، وبالتالي تعدد النظريات النوعية عن الظاهرة الخاصة التي يدرسها. ويعرف دارسو علم الاجتماع أن هذا العلم يضم نظريات متباينة منذ نشأته مثل نظرية كونت الوضعية ونظرية أميل دوركايم عن التضامن الاجتماعي ونظرية ماكس فيبر عن الفعل الاجتماعي ونظرية هربرت سبنسر التطورية العضوية ونظرية كارل ماركس المادية التاريخية. كما أن علم الاجتماع المعاصر لم يتخلص من هذا التعدد النظري، بل ظهرت به نظريات حديثة متباينة تمثل امتداداً للنظريات الكلاسيكية مثل النظرية البنائية الوظيفية والوضعية المحدثة والسلوكية الجماعية والفينومينولوجيا والنظريات الراديكالية. بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى وجود اتجاه أو تيار في علم الاجتماع يؤكد على عدم أهمية وجود نظرية على الإطلاق، ويدعو إلى أن يستمد الباحث أفكاره من الواقع مباشرة؛ وهو ما يسمى الاتجاه الإمبريقي أو التجريبي.

ليس أمام الباحث في ميدان الظواهر الاجتماعية إذن مفر من الاختيار بين النظريات وهو أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يستغنى عن هذه النظريات جميعها ويتبع ما سمي بالاتجاه الإمبريقي (التجريبي)، وإما أن يختار نظرية ما من بين هذه النظريات يعتبرها الأصدق والأكثر علمية. والواقع أن معظم الباحثين الاجتماعيين، وخاصة المبتدئين منهم يحددون مواقفهم على أسس غير علمية.

ويمكن للباحث أن يسترشد ببعض الأسس عند تقييمه للنظريات في ميدان علم الاجتماع وهي:

أولاً - الإلمام بالنظريات العامة الرئيسية في علم الاجتماع بدون استثناء وألا يستبعد لأي سبب نظرية عامة رئيسية من نطاق معرفته.
ثانياً - الإطلاع على الدراسات النقدية لمختلف النظريات وخاصة النقد المتبادل بين النظريات الرئيسية ورد أصحاب كل نظرية على النقد الموجه لها.

- ثالثاً – استخلاص المسلمات الأساسية التي تركز عليها كل نظرية، وإثارة التساؤلات الآتية والحصول على إجابات عليها من النظرية ذاتها:
- (١) كيف تصور النظرية الواقع الاجتماعي بشكل عام؟
 - (٢) كيف تصور النظرية طبيعة الإنسان؟
 - (٣) ما نوعية المتغيرات التي تعتمد عليها النظرية في تفسير الظواهر الاجتماعية المختلفة؟
 - (٤) هل تميز النظرية بين القوانين العامة التي تنطبق على المجتمع الإنساني ككل وبين القوانين النوعية التي تنطبق على كل نوع من أنواع المجتمعات وكل مرحلة من مراحل تطوره، أم تقوم بالتعميم من واقع نوع واحد من المجتمعات (كالمجتمعات الغربية) على الإنسانية ككل؟
 - (٥) ما المضمون الأيديولوجي للنظرية؟
 - (٦) ما الأدلة الواقعية على صدق المسلمات والاستنتاجات التي تتضمنها النظرية؟
 - (٧) ما الإجراءات العملية التي تشير إليها النظرية إذا استرشدنا بها في التطبيق أو في رسم السياسات الاجتماعية؟
- فإثارة الباحث لهذه التساؤلات بعد استيعابه للنظريات الاجتماعية وحصوله على إجابات عليها تساعده على اتخاذ موقف منها .
- و شهدت فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين , تطورات ملحوظة في مجال النظرية السوسولوجية ولاسيما بعد أن تعددت الأفكار حول هذه النظرية وأهميتها في علم الاجتماع والتفكير السوسولوجي خاصة , والعلوم الاجتماعية عامة . وجاء هذا التقييم للنظرية السوسولوجية في إطار عدد من النظريات الاجتماعية التي لم يقتصر إستخدامها ومعالجتها من جانب علماء الاجتماع ولكن تم تبنيها بشدة بواسطة الكثير من المتخصصين في العلوم الاجتماعية الأخرى , وهذا ما تمثل في النظريات البنوية وما بعد البنوية والفينومينولوجية والاثنوميثودولوجي وغيرها من النظريات الأخرى التي أستخدمها علماء الفلسفة والتاريخ والأدب واللغة والاقتصاد والسياسة والقانون والانثروبولوجي وعلم النفس . وجاء هذا الأهتمام نتيجة محاولة علماء العلوم الاجتماعية وتقييمهم لمستوى النظرية الذي وصلت اليه علومهم وتحليلاتهم , وتسهم عملية التنظير في بناء المنهج والأساليب البحثية والتحليلية التي يستخدمونها في دراساتهم النظرية والمنهجية والواقعية الميدانية في نفس الوقت .
- وتعتبر نظرية ما بعد الحداثة من النظريات السوسولوجية التي استقطبت العديد من المتخصصين في العلوم الاجتماعية وخاصة خلال العقدين الآخرين من القرن الماضي , بعد أن تعرضت النظريات السوسولوجية الأخرى لكثير من النقد لإخفاقها في توجيه البحوث النظرية والمنهجية التي تقوم بها هذه العلوم . وبالطبع , إن نظرية ما بعد الحداثة لم تظهر من فراغ , بقدر ما جاءت نتيجة لإرهاصات فكرية

متعددة، ولتعبير عن الكثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والمعلوماتية التي حدثت خلال النصف الأخير من القرن العشرين، ولنشير الى مرحلة جديدة من مراحل تطور الفكر الاجتماعى , حرص فيها العقل الانسانى على ضرورة تحديث أساليب وأنماط التحليل النظرى والمنهجى، عند دراسة المشكلات والقضايا الاجتماعية والثقافية التي توجد فى مجتمعنا المعاصر علاوة على ذلك إن نظرية ما بعد الحداثة تعبر بوضوح عن التقاء فكرى شامل بين العديد من المتخصصين فى العلوم الاجتماعية ومحاولتهم لتحديث الاطار التصورى المرجعى الذى تقوم عليه نظرياتهم ومناهجهم وأساليب تفسيرهم للواقع بصورة شاملة.

ولذلك تم تقسيم البحث الى عدد من العناصر وهى الاتجاه الراديكالى , والاتجاه الفينومينولوجى، والاتجاه الأثنوميثودولوجى , ونظرية ما بعد البنيوية , ونظرية الحداثة , ونظرية ما بعد الحداثة . ويتم عرضها بالتفصيل فيما يلى :

أولاً : الاتجاه الراديكالى

فى الواقع أن , كل نظرية سوسولوجية تحمل فى طياتها كثيراً من العناصر النقدية، وإن كانت قد اختلفت وتباينت النظريات السوسولوجية على أساس ما تنسم به من طابع نقدى . ومن ثم فخاصية النقد تعتبر سمة أساسية من السمات العامة للنظرية السوسولوجية التي تطورت خلال القرنين الماضيين نتيجة النقد الذى وجه الى كل نظرية على حده سواء من روادها أو المهتمين بها أو سواء من أنصار النظريات السوسولوجية الأخرى. وكما يعكس لنا تحليل التراث العلمى لتطور النظرية السوسولوجية التقليدية والمعاصرة أن الإتجاه نحو التيار النقدى قد تزايدت بصورة ملحوظة خلال النصف الأخير من القرن العشرين . ومن ثم أصبح لدينا فى مجال النظرية السوسولوجية المعاصرة إتجاهات أو نظريات تتميز عموماً بالطابع النقدى أو الراديكالى، وتم تصنيف هذه النظريات على أساس هذا المقياس أو المحك النقد لأنه السمة الأساسية التى تتصف بها عدد من النظريات كما تقوم عليها قضاياها ومسلّماتها العامة.

وتمثل آراء ميلز النقدية أولى النزعات النقدية المبكرة الأوربية والتي تأثرت بالفعل بآراء النظرية النقدية الكلاسيكية (مدرسة فرانكفورت) التى هاجرت الى الولايات المتحدة ووجدت قبولاً واسع النطاق وتعتبر من أهم المصادر الأولى التى وضعت الجذور الفكرية لظهور النظرية النقدية المعاصرة ومنها بالطبع آراء ميلز . وجاءت آراء ميلز محاولة أن تتبني مع غيرها من آراء تحليلات مجموعة أخرى من علماء الاجتماع الغربيين وعدد من القيم والأفكار ذات الطابع النقدى , كمحاولة منهم للخروج من الأزمة الأكاديمية التى عاصرها ميلز وزملاؤه من أنصار النظرية النقدية المعاصرة . وهذا ما يتم عرضه بالتفصيل .

تشارلز رايت ميلز (الخيال السوسيولوجي) wright Mills
تشارلز رايت ميلز من أبرز علماء الاجتماع الأمريكيين المعاصرين في تيار النقد الاجتماعي ولعل نقطة البدء في فكر ميلز هي أن مهمة عالم الاجتماع ومسئوليته الأساسية تتمثل في دراسة مشكلات العصر الحديث ، وهي تدهور الحياة الاجتماعية وكيف أصبح الإنسان المعاصر مكروها على أن يحيها داخل أكثر المجتمعات ، خاصة تلك التي تتميز بالتقدم على المستوى الصناعي وأكثرها رفاهية من الناحية الاقتصادية .

ولهذا يقدم لنا ميلز فكرة الخيال السوسيولوجي كأطار تصوري وأداة تحليلية لمحاولة أدراك البناء الاجتماعي باعتباره حقيقة تاريخية مركبة قائمة بذاتها يمكن تقسيمها الى أنساق فرعية تدرس في علاقتها بالسباق البنائي الكلي .
على أية حال سوف نناقش فكر رايت ميلز من خلال عدد من التساؤلات ومنها ، ماهية العالم وأهم كتاباته؟ وما أهداف رايت ميلز؟ وما موقف رايت ميلز النقدي من تراث علم الاجتماع؟ وما أهم الأدوات النظرية والمنهجية التي استخدمها رايت ميلز؟ ، وما الاتجاهات النقدية الموجهة لأفكار رايت ميلز؟ وأخيرا ما نتائج نظرية رايت ميلز عن الخيال السوسيولوجي؟

نبذة عن حياة العالم

ولد عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز في ٢٦ أغسطس عام ١٩١٦ ب (تكساس) وعمل أستاذ بعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا ١٩٤٦ ، حتى وفاته في مدينة نيويورك في ٢٠ مارس ١٩٦٢.^(١)

يعد ميلز من أعلام اليسار الجديد في أمريكا في منتصف القرن العشرين ، وله العديد من المؤلفات في نقد المجتمع والسياسة وبناء القوة في أمريكا ومنها :
(١) ذو الياقات البيضاء : الطبقة الوسطى الأمريكية (١٩٥١)

White collar : the American middle class (1951)

حيث تنطبق هذه الدراسة على معظم الطبقات الوسطى في كثير من بلدان العالم وخاصة التي شهدت تحول النموذج البيروقراطي الرأسمالي في إدارة الإقتصاد فمع تحول مجتمعاتنا من الإقتصاد المخطط إلى إقتصاد السوق تزايدت أهمية العقديات والمؤسسات الرأسمالية التي توظف مئات الآلاف من الموظفين الذين تنطبق عليهم تحليلات ميلز خاصة في ظل عمليات الخصخصة والعولمة التي تعدت الآن^٢

(٢) كتاب " صفة القوة " ١٩٥٦ the power elite

^١ c.wright mills wikipedia, the free encyclopedia www.en.wikipedia.org

^٢ أشرف حسن منصور ، برولينتاريا المكاتب ، رايت ميلز ، الطبقة الوسطى الأمريكية ، الحوار المتمدن ، ٢٠٠٧ www.ahewar.org

حيث أوضح أن الصفوة تكون من قادة مجالات الأعمال والحكومة والقوات المسلحة ، والذين تربطهم مصالح وأصول إجتماعية ويرى أن النخب فى الولايات المتحدة تسيطر على ثلاثة مجالات وهى الصناعة - السياسة - الجيش^٣ ومن مؤلفاته أيضا الخيال السوسولوجى (١٩٥٩) (The sociological imagination)

لقب هذا المؤلف من قبل " أعضاء الجمعية الدولية لعلم الاجتماع " بأنه ثانى أكثر الكتب شعبية فى القرن العشرين بعد كتاب فيبر (الإقتصاد والمجتمع) وترجم إلى ١٧ لغة وأعيد طبعه عنه مرات حتى بعد مرور أربعين عام على وفاته^٤ ونشر لأول مرة من قبل مطبعة أكسفورد فى عام ١٩٥٩ ويشير فيه ميلز إلى المهمة المركزية لعلم الاجتماع وعلماء الاجتماع ، وهى عبارة عن إيجاد نقطة واضحة للاتصال والالتقاء بين القوى الإجتماعية وبين الأفراد من بيئات إجتماعية مختلفة والحقبة التاريخية الأوسع التى توجد فيها^٥

الخيال السوسولوجى

الخيال السوسولوجى عند ميلز هو " أداة من أدوات الخيال النظرى تنمى بالممارسة لدى الباحث قدرة خاصة على إستخلاص المبدأ العام من جملة الملاحظات والدراسات الأمبريقية ... وهذا هو أول خطوة نحو أحياء بناء نظرى يفسر الواقع الإجتماعى الملموس والخيال لذلك هو وسيلة الفرد للتثقيف الذاتى الذى يتيح للفرد أن يملك مقررات حياته ويكون وعيه الحقيقى

ويقدم لنا ميلز فكرة الخيال السوسولوجى كإطار تصورى وأداة تحليلية لمحاولة أدراك البناء الإجتماعى ويرى ان الباحث السوسولوجى ما هو إلا جزء من المجتمع الذى يدرسه ، لأن حياته لا تنفصل عن موضوع بحثه ، ومن ثم فهو يحتاج إلى الخيال السوسولوجى لكى يتفهم حياته من خلال الظروف الإجتماعية المحيطة به^٦

(١) عمار على حسن ، معنى النخبة، جريدة الوطن الإلكترونية، ٢٠١٣
www.elwatannews.com

^٤ المرجع السابق ص ٣٨٣.

^٥ john d.brewer, imagining the sociological imagination : the biographical context of asocial classic, british journal of sociology, vol 55 , 2004 . p3

www.neweductors-hananwan-b.10.gspot.com

2009/11/14/sociological imagination.html

^٦ محمد على محمد ، علم الاجتماع والمنهج العلمى دراسة فى طرق البحث وأساليبه ، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ١٥٩.

والخيال السوسولوجي يتمثل في " قدرة الباحث على فهم الصورة التاريخية الكلية للإنسان والمجتمع ، فالذى ينتهج الخيال السوسولوجي يستطيع أن يميز بين المشاكل الفردية والمشاكل العامة التي ترجع أسبابها إلى البناء الإجتماعي " ^٧ .
ولذلك فالخيال السوسولوجي عبارة عن تلك القدرة على تجاوز تفاصيل الحياة والمشكلات اليومية وإدراك حقيقة الصلة التي تربط السيرة الشخصية للفرد باتجاه التاريخ ، وهي القدرة على الانتقال من الخاص إلى العام ، ومن ما هو شخصي إلى ما هو إجتماعي ، وتحديد وجه الارتباط بين الإثنين .

والخيال السوسولوجي بالنسبة للفرد العادي يتمثل في تلك القدرة التي تمكنه من إدراك ذاته باعتبارها حقيقة إجتماعية تاريخية وهو بالنسبة للباحث الإجتماعي تلك الخصبة الذهنية التي تمكنه من إدراك البناء الإجتماعي بإعتباره السياق الطبيعي لأى ظاهرة إجتماعية هو إدراك المجتمع بإعتباره بدوره حقيقة تاريخية هو إذن تلك القدرة على إدراك الكليات وموقع التفاصيل منها وكذا القدرة على تفسير الجزئيات بالرجوع إلى سياقها ^٨ .

محمل القول أن الخيال السوسولوجي هو السبيل الفرد إلى التحرر من قبضة قوى التحريك الخفية وسبيل الباحث إلى العمل على خلق جماهير واعية مستنيرة قادرة على العمل الإيجابي وعلى التصرف الرشيد.

٢- أهداف تشارلز رايت ميلز والخيال السوسولوجي

(Wright mills and sociological imagination)

أختلف معظم من أهتم بتصنيف أعمال " رايت ميلز " فتحليلها وتقويمها حول التوجه المعرفي الأيديولوجي الذى إستند إليه فأعتبره هورفيتز " horo wits " برجماتيا ونظر إليه " جولد نار " على أنه رومانسى ، بالرغم من ان " ميلز " اسهم فى انتاج تكنولوجيا البحث السوسولوجي عندما عمل بمكتب البحوث الإجتماعية التطبيقية ^٩ .

ويرى " جينز " أن ما أسماه " رايت ميلز " ببراعة الخيال السوسولوجي أى الخيال المستمد من علم الإجتماع وقد إستخدم هذا المصطلح على نطاق واسع إلى حد أنه بات معرضا للإبتدال . كما أن رايت ميلز نفسه إستخدمه بمعنى أقرب إلى الغموض بعض الشيء ، أما أنا فأقصد به بعض أشكال الحساسية المرتبطة ببعضها البعض والتي لا غنى عنها للتحليل السوسولوجي كما أفهمه هنا فلا يمكن التوصل

^٧ (أمال حسن السواح - النظرية السوسولوجية عند تشارلز رايت ميلز - رسالة الماجستير فى بعض العلوم الإجتماعية ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩٥ .

^٨ عبد الباسط عبد المعطى ، إتجاهات نظرية فى علم الإجتماع ، مجلة علم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ص ١٥١

^٩ المرجع السابق ص ٣٤ .

إلى فهم العالم الإجتماعى الذى أشعلت شرارته المجتمعات الصناعية المعاصرة ، إلا من خلال ممارسة الخيال على ثلاثة أعمده فى نفس الوقت فيتضمن الحساسية التاريخية ، الأنثروبولوجية ، النقدية .^{١٠} كما يرى جيدنز أن المهمة الأولى للخيال السوسولوجى الذى يمارسه الباحث الذى يحلل المجتمعات الصناعية اليوم ، تتمثل فى إستعادة ماضيها القريب ، او العالم الذى فقدناه .

فبفضل هذا الجهد وحده المنطلق من الخيال ، والذى يقوم بطبيعية الحال على وعى بالتاريخ ، نستطيع أن نفهم كيف تختلف معيشة أبناء المجتمعات الصناعية اليوم عن الأسلوب الذى كان يحيا به الناس فى الماضى القريب نسبياً .^{١١} موقف رايت ميلز النقدى لتراث علم الإجتماع :

وقبل الخوض فى مجال نقد رايت ميلز لتراث علم الإجتماع ، يجب الإشارة هنا إلى أن الخيال السوسولوجى عند ميلز بعدين أساسين ، فالبعد الأول للخيال السوسولوجى يقوم على تطوير الحساسية التاريخية (أى إحساس الباحث فى علم الإجتماع بالبعد التاريخى) والبعد الثانى يعنى زرع النظرة الأنثروبولوجية فى وعى الباحث .^{١٢}

لقد إتخذ ميلز موقف نقدى تحليلى لكل من التراث النظرى فى علم الإجتماع والواقع الإجتماعى فى المجتمع الرأسمالى الغربى وبخاصة المجتمع الأمريكى حيث كشف زيف العلم الإجتماعى التقليدى الذى يمثله ثالكوت بارسونز. أنتقد منهج النظرية الوظيفية على إعتبار أنه يتحاشى دراسة الخصائص البنائية للمجتمع ويميل إلى التجريد الذى يجعله يبتعد عن التحليل التاريخى لمشكلات المجتمع .^{١٣} وتعجز عن التعبير عن الأوضاع القائمة بالفعل داخل أى مجتمع وبالتالي عن تفسيرها .^{١٤}

ووجه ميلز نقدا للإتجاه الأمبريقى حيث أنه لا يستند فى تحليلاته إلى أية نظرية سوسولوجية أو أية مبادئ عامة تكون بمثابة الإطار التصورى للدراسة الميدانية للمجتمع وأن الأمبريقية المجردة لا تتميز بأية قضايا أساسية أو أية نظريات ، وهى

^{١٠} عبد الباسط عبد المعطى ، مراجع سابق ص ١٥٢ - ١٥٣ .

^{١١} أنتونى جيدنز ، مقدة نقدية فى علم الإجتماع ، ترجمة أحمد زايد واخرون ، الطبعة الثانية ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإجتماعية ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٩ .

^{١٢} المرجع السابق ص ٩ .

^{١٤} هانى خميس أحمد عبده ، النظرية النقدية وأزمة علم الإجتماع دراسة تحليلية للكتابات مدرسة فرانكفورت ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الأسكندرية ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٢٦ .

تتميز بأنواع معينة من الموضوعات فحسب يتناولها علماء هذه الإتجاهات بالدراسة.^{١٥}

ويأخذ ميلز على الأمبريقية المجردة أن إلترامها بمناهج العلوم الطبيعية قد سجن إهتماماتها داخل مجال محدود النطاق محدد المعالم ويعيب عليها أنها تستهدف التفسير ولا تتجاوزة إلى مرحلة الفهم.^{١٦}

ولقد كان هدف ميلز من نقده للإتجاه الأمبريقي هو إبراز جوانب الضعف في هذا الإتجاه ، وأيضا إنتقاد إستخدامه في علم الإجتماع ، وذلك لأنه يستخدم بصورة مجردة دون إعتبار الفروق بين علم الإجتماع والعلوم الطبيعية.^{١٧}

عاب رايت ميلز على معظم المشتغلين بعلم الإجتماع في الولايات المتحدة موقفهم المسبق عن التراث الماركسي . لقد كان يؤكد أن ثمة فرقا بين أن تفهم وتعرف لترفض وتقاوم وبين أن ترفض وتقاوم دون فهم ووعي ، ولهذا ألف كتابات وسمه (الماركسيون) عرض فيه خصائص الفكر الماركسي وبعض المحاولات الإبداعية فيه ، كما فعل " لينين دماو" لقد أوضح أن كثيرا ممن يرفضون الماركسية يبدو أنهم عن جهل – يرفضون الخصائص المميزة لعلم الإجتماع ليعصروه ويحصروا أدواره وموضوعاته في قضايا جزئية وهامشية.^{١٨}

وفي محاولته الربط بين نقد المجتمع الأمريكي ونقد علم الإجتماع فيه ، وهي نقطة كثيرا ما تغيب عن يصفنون أنفسهم ضمن حركة النقد في علم الإجتماع ، وضح ميلز قضية إغتراب الإنسان الأمريكي وتزييف وعيه ، وبالتالي طبعه باللامبالاه والقصور فيما يتعلق بالتغيير ، وحاول ربط هذا الواقع بجانب عوامل أخرى بالطبع بالإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة إجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية ، فكثيرا ما أكد الباحثون من خلال دراساتهم له أن المسألة تعود إلى تكيف الإنسان وتوافق مع الواقع المحيط ، فكلما كانت لديه قدرات نفسية على هذا التكيف وذلك التوافق قل إغترابه والعكس صحيح.^{١٩}

هذا ويدعو ميلز إلى دعم قيمتين أساسيتين هما الحرية والعقل فهو يرى أن العقل لا يجب أن يتوقف عن محاولة إستكشاف مواضع " التدخل الفعال " في الشؤون الإنسانية من أجل معرفة ما ينبغي أن يجرى عليه تغيير بنائي في أية لحظة من

^{١٥}) عبد الباسط عبد المعطى – إتجاهات نظرية في علم الإجتماع ، مجلة عالم المعرفة ، مرجع سابق – ص ١٥٣

^{١٦}) المرجع السابق .

^{١٧}) المرجع السابق ص ١٥٣

^{١٨}) عبد الباسط عبد المعطى – إتجاهات نظرية في علم الإجتماع ، مجلة عالم المعرفة ، مرجع سابق

– ص ١٥٣

^{١٩}) المرجع السابق ص ١٥٣

لحظات التاريخ ، وأما عن الحرية فهي ليست عبارة عن فرصة الإنسان في أن يفعل ما يريه فقط ، وليست هي فرصته في أن يختار بين مجموعة بدائل ، وإنما الحرية هي فرصة لصياغة الإختيارات المتاحة وإصدار حكم بشأنها ثم إجراء عملية الإختيار ذاتها - لذا فلا يمكن أن توجد الحرية دون أن يقوم العقل الإنساني بدور موسع في الشئون الإنسانية^{٢٠}

الإتجاهات النقدية الموجه لتشارلز رايت ميلز

يرى أنتوني جيدنز أن رايت ميلز إستخدم الخيال السوسولوجي بمعنى أقرب إلى الغموض بعض الشيء ويرى جيدنز أن الخيال السوسولوجي هو أشكال الحساسة المرتبطة ببعضها البعض والتي لا غنى عنها للتحليل السوسولوجي فلا يمكنه التوصل إلى فهم العالم الإجتماعي إلا من خلال ممارسة الخيال على ثلاثة أصعدة في نفس الوقت وتتضمن أشكال الخيال السوسولوجي (التاريخية ، الأنثروبولوجية ، النقدية)^{٢١}

وإذا كان البعد الأول للخيال السوسولوجي يقوم على تطوير الحساسة التاريخية (أي إحساس الباحث في علم الإجتماع بالبعد التاريخي) ، فإن البعد الثاني يعنى زرع النظرة الأنثروبولوجية في وعى الباحث ، وعندما نقول ذلك فإننا نؤكد من جديد الطبيعة الراهنة (غير المحددة تحديدا صارما) للحدود المعترف بها تقليديا بين العلوم الإجتماعية المختلفة.

وربما كان تبنى فهم تاريخي بمدى حداثة ومدى قوة التحولات الإجتماعية على إمتداد القرنين الماضيين أمرا على جانب من الصعوبة ، ولكن كان الأكثر صعوبة منه الإقلاع عن الإعتقاد الذى يؤمن به - صراحة أو ضمنا أن أنماط الحياة التى نمت وتطورت فى الغرب تتفوق على نحو أو آخر على سائر أنماط الحياة التى عرفتها الثقافات الأخرى ، وقد غزى هذا الإعتقاد إنتشار الرأسمالية الغربية نفسها ، وهو الإنتشار الذى كان إيذانا بإنطلاق سلسلة من الأحداث التى أتلفت ودمرت أغلب الثقافات التى إتصلت بالثقافة الغربية^{٢٢}.

والبعد الأنثروبولوجي للخيال السوسولوجي مهم لأنه يمكننا من فهم تنوع أنماط الوجود الإنساني المعروفة على هذه الأرض ، وكثيرا ما نجد أن الباحث الأنثروبولوجي المعاصر قد تحول إلى مؤرخ للكوارث البشرية ، أو مؤرخ للثقافات التى يتم إتلافها بفعل التدمير العسكرى ، والتي خربتها الأمراض التى جاءت مع الإتصال بالغرب ، او التى باتت تعاني تحلل العادات الإجتماعية التقليدية ، فالباحث

^{٢٠} المرجع السابق ص ١٥٤

^{٢١} أنتوني جيدنز ، مقدمة نقدية فى علم الإجتماع ، ترجمة أحمد زايد وآخرون ، الطبعة الثانية ، مركز البحوث والدراسات الإجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ص ٣٩.

^{٢٢} سامية محمد جابر ، مرجع سابق، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣.

الأنتروبولوجي كما وصفه كلود ليفي ستراوس ، هو " دارس وشاهد على تلك الشعوب الأخذ في الأندثار ، وهناك قضايا ملحة وعملية إلى أبعد مدى تكتنف عمليات النضال من أجل التصدي لهذا الإعتداء المستمر على حقوق تلك الشعوب ، أو تتصل على الأقل بتيسير عملية تكيفهم مع أنماط الحياة الجديدة حيثما تكون أنماطهم قد تقوضت وإنهارت .^{٢٣}

وإذا جمعنا المعنى الثاني مع الأول ، فسوف تمكننا ممارسة الخيال السوسيولوجي من التحرر من القيود الصارمة التي تحصرنا في حدود التفكير في ضوء نوع المجتمع .^{٢٤}

ويرى " أنتوني جيدنز " أن البعد الثالث للخيال السوسيولوجي هو الذي يتصل بأفاق المستقبل ، ويرفض الفكرة القائلة بأن علم الاجتماع هو يماثل العلوم الطبيعية ، لأنه لا يوجد عمليات إجتماعية تخضع لقوى لها حتمية وجبرية القوانين الطبيعية ، وهذا يعني أنه يتعين ان نعي المستقبلات البديلة المتاحة ، فالخيال السوسيولوجي بمعناه الثالث ينصهر كلية مع مهمة علم الاجتماع في الإسهام في نقد الأشكال الإجتماعية القائمة .^{٢٥}

يقول الكاتب المكسيكي " كارلوس فونتنيس كرس " أن رؤية ميلز السوسيولوجية للمجتمع الأمريكي تتجاوز مجال علم الاجتماع ، وعرض أفكاره بإعتبارها وسيلة للحفاظ على المجتمع الأمريكي من الوقوع في فخ ما يعرف بإسم " المجتمع الشامل " ويرى كثير من العلماء أن أفكار ميلز أثارت الحركات الراديكالية من ١٩٦٠ ، والتي وقعت بعد وفاته .^{٢٦}

ويتضح في كتابه " صفوة القوة " أخذ ميلز بفكرة فيبر أن التصنيع يؤدي إلى مزيد من الترشيح الإجتماعي ، وإعتبر ميلز أن تأثيرات ذلك الترشيح هي سلبية أكثر منها إيجابية ، فيؤخذ عليه أنه ركز على النتائج السلبية للترشيح إلى حد أنه أبعد أي وظائف إيجابية للترشيح^{٢٧} ، كما أن منهجه يكاد يكون بعيدا عن إعتباره علميا فهو يميل إلى الوصف ، كما أن بياناته غير مرتبه

ويمكن الرد على تلك النقد الذي وجه إلى " رايت ميلز " من خلال القول أنه لم يحاول أن يحاكي معاصريه من الباحثين في علم الاجتماع في تجميع المعطيات الكمية عن الظواهر الإجتماعية كما أنه كان يبدي تبرمه بكل أشكال التجريد وذلك لأن إهتمامه كان مركزا في دراسة مجتمع معين في زمان ومكان محددين ، وكان هدفه

^{٢٣} المرجع سابق ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

^{٢٤} المرجع سابق ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

^{٢٥} المرجع السابق ، ص ٤٣ .

^{٢٦} المرجع السابق ، ص ٤٣ .

^{٢٧} http://en.wikipedia.org/wiki/c_wright_mills . 15/1/2015.

هو فهم هذا المجتمع في حدوده التاريخية والمكانية والإجتماعية والثقافية ، وان ينتشر هذا الفهم على الناس في المجتمع والعالم الذي يعيشون فيه ، ولهذا فهو يشكك في إمكان الوصول إلى قوانين إجتماعية عامة عن بناء المجتمع أو عن دينامياته.^{٢٨}

إختلف معظم من أهتم بتصنيف أعمال " رايت ميلز " وتحليلها وتقويمها حول التوجه المعرفي الأيديولوجي الذي إستند إليه فأعده " ارفنج هورفيتز " برجماتيا ونظر إليه " جولد نار " على أنه رومانسي ، بالرغم من أن " ميلز " أسهم في إنضاج تكنولوجيا البحث السوسيولوجي عندما عمل بمكتب البحوث الإجتماعية التطبيقية ، وأطلق عليه آخرون "تروتسكي تكساس" نتيجة لصلته بالفكر الإشتراكي ، وبالرغم من الدور والسمعة الشهيرتين للرجل ، فقد أخذ عنه الكتاب العرب نقلا ، أكثر مما كتبوا عنه تحليلا ونقدا.^{٢٩}

نتائج نظرية (رايت ميلز) عن الخيال السوسيولوجي

(١) أستنادا إلى منظور " رايت ميلز " النقدي في علم الإجتماع أعتبر أن كل علم إجتماعي سياسى بالضرورة ، وان عليه أن يغير المجتمع وأن يكافح الأحكام المسبقة، ففي كتابة " تخبطة الحكم " ١٩٥٦ درس نظام الحكم السياسى فى الولايات المتحدة ، عارضا نظرية فى النخب إستند فيها إلى ما كان طوره "موسكا" من أن الأقلية هى التى تستحوذ على الحكم فى المجتمع بحيث يمكن أن يفسر كل التاريخ الحادث على ضوء مصالح تلك الطبقة الحاكمة.^{٣٠}

(٢) أكد ميلز أن الحقيقة الإجتماعية تمثل توليفة من البيوجرافى والتاريخ ، وتقاطعاتها فى داخل البناءات الإجتماعية ، وهو يعنى بذلك إستيعاب التاريخ والبيوجرافى والعلاقة بين الإثنين.^{٣١}

(٣) أخذ ميلز بفكرة فيبر ، أن التصنيع يودى إلى مزيد من الترشيح الإجتماعى ، وإعتبر ميلز أن تأثيرات ذلك الترشيح هى سلبية أكثر منها إيجابية ، والتأثير الرئيسى للترشيح هو زيادة فى التركيز وما يتبعه من نزعة الصفوة ، كما يؤثر الترشيح فى البناء المهني ، و تنهار المشاريع الفردية بحددة ، وفى الوقت نفسه تتزايد نسبة الموظفين المستخدمين اى الذين يعتمدون فى حياتهم على وظائفهم ، وهذا بدوره يودى إلى زوال الأفراد المستقلين ، ونشأة فكرة الرجل الصغير الضئيل فى العقل

²⁸) [http:// www.stor times .com](http://www.stor.times.com) . 14/12/2014.

^{٢٩} عبد الباسط عبد المعطى ، إتجاهات نظرية فى علم الإجتماع ، مجلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ١٥١ .

^{٣٠} حمدى عبد الحميد مصطفى ، تشارلز رايت ميلز ، ٢٧ يونيو ٢٠١٠ . [http://www.hamdi .socio.blogspot . com](http://www.hamdi.socio.blogspot.com) . 14/11.

^{٣١} [www.neweductors- hananwan.blogspot.com](http://www.neweductors-hananwan.blogspot.com) 14/11/2014. Sociogical

[imagination .htm](http://imagination.htm) لطفى الأدرسى - الأثر الفكرى الأمريكى (رايت ميلز) ٢٠١٠/٧/٢٠

الأمريكي ، وفي هذه الحالة يستخدم مزيد من الضبط لكل مستويات البناء الإجتماعى.
٣٢

(٤) ويرى ميلز أنه من العسير دراسة اتجاهات الأفراد ، أو أية ظاهرة إجتماعية إذا عزلت عن سياقها التاريخى ، وإذا درست منفصلة عن العصر الذى تنتمى إليه ، ولنا أن نتوقع الدور الهائل الذى يلعبه الإطار التاريخى فى تزويد الباحث ببصيرة سوسولوجية ثاقبه.^{٣٣}

(٥) ويتفق رايت ميلز مع ماركس فى رأيه عن رسالة الباحث فى علم الاجتماع ، فليست مهمه هذا الباحث مقصورة على تقديم وعرض المعطيات الإجتماعية التى يحصل عليها من دراساته للمجتمع ولكن قوام رسالة هذا الباحث أن يكون عوناً للإنسان العادى على ان يحدد اتجاهه فى الحياة التى يعيش فيها ، وعلى أن يكتشف معالم الطريق الذى يسير فيه خلال مناهات الخبرة بالحياة اليومية التى يعيش فيها هذا الإنسان ويؤكد رايت ميلز على أهمية دراسة التفاعل بين الإنسان والمجتمع ، بين التاريخ الشخصى والتاريخ العام ، بين الذات والعالم الذى تعيش فيه هذه الذات.

(٦) ولقد كان لتصور ميلز لمجال علم الاجتماع ومهامه نتائج منهجية عديدة، فهو لم يحاول أن يحاكي معاصريه من الباحثين فى علم الاجتماع فى تجميع المعطيات الكمية عن الظواهر الإجتماعية ، كما أنه كان يبدى تيرمة بكل أشكال التجريد وذلك لأن إهتمامه كان مركزاً فى دراسة مجتمع معين فى زمان ومكان محددين ، وكان هدفه هو فهم هذا المجتمع فى حدوده التاريخية والمكانية والإجتماعية والثقافية ، وأن ينشر هذا الفهم على الناس فى المجتمع والعالم الذى يعيشون فيها ، ولهذا فهو يشكك فى إمكان الوصول إلى قوانين سوسولوجية عامة.^{٣٤} عن بناء المجتمع أو عن ديناميته ، ويرى أن كل القوانين أو التعميمات السوسولوجية التى تتجاوز التعميمات التاريخية المستندة إلى دراسة معطيات التاريخ أن هى إلا تجريدات خاوية فارغة.

(٧) وتوصل ميلز إلى خلق العقلية السوسولوجية هو الهدف الأول لعلم الاجتماع ، وبعد خلق هذه العقلية عملاً فكرياً وسياسياً فى ذات الوقت طالما أنه يحقق تحول المجتمع لأنه يخلق الوعى الإجتماعى لدى الفرد بوجوده التاريخى والإجتماعى وما يترتب على هذا الوعى من قيام الفرد بسلوكه الإجتماعى بحيث يتشكل هذا السلوك فى ضوء هذا الوعى الإجتماعى الذى يخلقه العقل السوسولوجى وبهذه الوسيلة تتحول المشكلات الشخصية التى يعانى منها الأفراد إلى شكل ظاهر صريح يطفو على سطح

^{٣٢} حمدى عبد الحميد، مرجع السابق.

http:// www.stor times .com . 14/12/2014.

^{٣٣} محمد على محمد، مرجع سابق، ص ١٦٠.

المجتمع شكلا هموما جماعية يواجهها المجتمع وتتحول اللامبالاه والسلبية عن جانب الجماهير إلى نوع من الإلتزام بالقضايا العامة التي تشغل المجتمع.^{٣٥}

(٨) ويذهب ميلز إلى أن الخيال السوسولوجي ليس فقط اداة صورية تفيد الباحث المتخصص وحده بل هو أيضا سلاحا يعين المواطن العادى على النظرة الشمولية التي تمكنه من أن يدرك شخصية بإعتباره فردا فى وظيفة إجتماعية.^{٣٦}

(٩) ويؤكد ميلز ان الخيال السوسولوجي يمثل ضرورة ملحّة فى المجتمع المعاصر الذى يتغير بالتغير السريع ، ذلك لأن الفرد يشعر بالغرابة وسط مجتمع يغير من عليه إتجاهات معينه من السلوك ، وحيث يمد نفسه لأطماع الآخرين ، ولهذا يلجأ الإنسان إلى اللامبالاه ويقف من المجتمع موقف المتفرج .^{٣٧}

(١٠) ويرى ميلز أهمية وجود علم إجتماع جديد هو " علم إجتماع الوحدات الكبرى " هذا العلم الجديد هو محاولة او جهد منظم لإقامة علم إجتماع يهتم بدراسة الوحدات الكبرى .^{٣٨}

ثانيا : الاتجاه الفينومينولوجي:

محور اهتمامنا الحالى يتركز على إحدى النظريات السوسولوجية المعاصرة التي لاقت قبولا واسعا النطاق بين المهتمين بعملية التنتظير السوسولوجي , إلا وهى النظرية الفينومينولوجية التي تعتبر حلقة وصل بين العديد من أنماط أو فروع العلوم الاجتماعية ولاسيما بين الفلسفة وعلم الاجتماع

وجاءت هذه النظرية لسببين وهما الاول :يرجع الى ضرورة الاستفادة من المناهج العلمية التي ساعدت فى عملية البحث عن الحقيقة والتوصل الى المعرفة بصورة واقعية محددة. والثانى : ظهور العديد من الأزمات العلمية التي واجهت علم الاجتماع والفلسفة وغيرها من العلوم.^{٣٩}

ركز الاتجاه الفينومينولوجي على ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية بإعتبارها حقائق اجتماعية مع ضرورة تحديث الأساليب التي يمكن الإستعانه بها فى دراسة تلك الظواهر, فحرصوا علماء الفينومينولوجي منذ بداية القرن العشرين على ضرورة استبعاد النزعات الوضعية **positivism** التي تؤمن إيمانا مطلقاً بضرورة إخضاع الظاهرة الاجتماعية إخضاعاً كاملاً لأساليب البحث العلمى التجريبي الموضوعى.^{٤٠}

^{٣٥} على جليبي وأخرون ، نظرية علم الاجتماع الإتجاهات الجديدة المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ص٣٨٦.

^{٣٦} المرجع السابق.

^{٣٧} المرجع السابق.

^{٣٨} المرجع السابق.

^{٣٩} عبدالله عبد الرحمن النظرية السوسولوجية المعاصرة , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠٠٣ , ص ٢٠٥.

^{٤٠} المرجع السابق , ص ٢٠٦.

الجزور الفكرية للاتجاه الفينومينولوجي :

ترتبط هذه النشأة بعدد من الظروف والعوامل التي ظهرت خلال العقود الأوائل من القرن العشرين وساعدت على طرح عدد من المقولات الأساسية التي قامت عليها الفينومينولوجية بصورة عامة . فلقد جاءت آراء " هوسرل " الفلسفية في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين . وهذا ماجعل " هوسرل " أول من طرح تعريف للفينومينولوجي بأنها " محاولة لدراسة الأشياء التي يمكن التعرف عليها بواسطة أحد حواسنا "

وجاءت النظرية الفينومينولوجية إنعكاساً للأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ارتبطت بالنظم الرأسمالية أو الشيوعية أو الدكتوتورية الأخرى مثل النازية والفاشية التي ظهرن خلال الحربين العالميتين وتنامت معها مشكلاتها وأزماتها بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص . فكانت حركات التمرد التمرد الطلابي والحركات الانسانية وحركات حقوق الإنسان العالمية , والجماعات المناهضة للحروب والدمار الشامل وغيرها من المظاهر السياسية الأخرى. علاوة على الأزمات الاقتصادية مثل البطالة والفقر والجريمة وغيرها . من أهم البواعث السياسية والاقتصادية التي الهمت الكثير من العلماء الاجتماعيين بضرورة إعادة التفكير في النظريات والأفكار الموجهه لفكر الايديولوجي في المجتمعات الغربية عامة. وبقدر ما ترجع الى أزمة علمية وفلسفية ترتبط عموماً بأضحلال المناهج والنظريات السوسيوولوجية وفشلها في دراسة الظواهر الاجتماعية ذات الطابع المختلف عن الظاهر الطبيعية , وإن كانت بوادر هذه الأزمة قد طرحت مع نهاية العشرينات خلال القرن الماضي كما تمثل ذلك في آراء هوسرل على سبيل المثال .^{٤١}

وانطلاقاً من هذا التصور رأى أنصار الفينومينولوجي ضرورة أن يقوم المنهج الظاهرتي على مسلمتين أساسيتين وهما أولاً: الإمتناع كلية عن إصدار أية أحكام ترتبط بموضوع الدراسة , وعدم تجاوز حدود التجربة الذاتية في إدراك الحقائق الخارجية التي يكون مصدرها الحواس .ثانياً: إعتبار موضوع المعرفة هو ذاته نفس الوعي بذات المعرفة وليس للوجود الخارجي معنى ذاتي بصورة مجملة. ومن هذا المنطلق فإن أنصار الفينومينولوجي أو ما يعرف بالفلسفة الظاهرتية يدركون أن معرفتنا بالعالم الخارجي الفيزيقي إنما تأتي عن طريق خبرتنا الذاتية . تلك الخبرة التي جاءت بدورها من خلال إدراكنا لجوهر الاشياء . هوسرل وأزمة المعرفة العلمية :

^{٤١} السيد عبد العاطي , السيد الرامخ , النظرية الاجتماعية الحديثة . كلمة للنشر والتوزيع , الاسكندرية ٢٠١٢ . ص ١٣٠ .

يعتبر هوسرل المؤسس التاريخي للاتجاه الفينومينولوجي , وأول من وضع تعريف له في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , حيث ظهرت أفكار هوسرل كرد فعل لمجموعة من من الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والمجتمعية التي عاصرها بالفعل في المانيا . وتصور هوسرل أن مجموعة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي شهدها العالم خاصة خلال العشرينات من القرن العشرين تعتبر شاهد عيان على ضرورة اضمحلال الفكر الانساني بإعتبارة الموجه الأول للسياسات العالمية , ومن ثم يجب أن يتم تحديثه من خلال تبني أساليب عقلية وفلسفية تتبني بدورها العديد من المبادئ والمسلمات التي تؤمن بأهمية العقل والوعى فى تفسير العالم الخارجى ولا يفرض على هذا الوعى بشيء لا يمكن إدراة أو التحقق منه بصورة ذاتية.^{٤٢}

أ- الظاهرة الإجتماعية والسيكولوجية :

بدأ "هوسرل" طرح فكرته عن الفينومينولوجى كأساس لأحياء الفلسفة والأسلوب العقلى فى دراسة الظواهر الخارجية أو الأشياء التى توجد فى عالمنا الداخلى , والحد من استخدام التحليلات الوضعية أو العلمية الخاصة التى تهمل العقل والذات والوعى وأهميتها فى تفسير الظواهر المحيطة بنا . ومن ثم بدأ وضع تصورات على أساس مهاجمة النزعات الوضعية وأيضاً السيكولوجية التى سيطرت أفكارها على الفكر الأوربى خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وانطلاقاً من تصورات هوسرل" , حرص على نقد النزعة السلوكية التى تصدر على عدد من المقولات أو المسلمات التالية:^{٤٣}

- الموضوعية : وتتمثل فى وسائل الحصول على البيانات والمعلومات الواقعية والبعد كلياً أو تجاهل ما هو ذاتى وما يمكن إدراة عن طريق العقل والوعى .
- التوجه نحو المؤثر والاستجابة , حيث تقوم جميع الافتراضات السلوكية طبقاً لهذا المبدأ أو المسلمة دون غيرها.
- الخارجية: والتى تعكس كيفية تحليل الظاهرة مثل الظاهرة العقلية ودراستها كموضوع يفسر من خلال مدخل المنبة والاستجابة.
- التأكيد على التعليم : وطبيعة العلاقة المتبادلة والروابط بين مدخل المؤثر والاستجابة بأعتبارها القوانين الأساسية للتعليم .
- البيئة تعتبر المحيط الفيزيقي الذى يحيط بالأنسان كلية .

^{٤٢} السيد عبد العاطى وآخرون , نظرية علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة, دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠٠٣ , ص ٣١١ .

^{٤٣} المرجع السابق , ص ٣١٢ .

وبعد نقد "هوسرل" للاتجاه السيكولوجي ذات النزعة الوضعية العلمية أو الفيزيقية . تناول أيضاً بالنقد النزعات التاريخية التي أصبحت عقيمة نظراً لأعتمادها على الحقائق التاريخية والأحداث المجردة , وتفسيرها لجميع الحقائق من خلال نسبتها للفترات التاريخية . ولذا رأى ضرورة توجيه إهتمامات علماء التاريخ نحو البحث عن الحقيقة التاريخية التي يمكن أن يدركها الوعي والعقل وعدم الإعتداد على المذاهب الطبيعية والموضوعية .^{٤٤}

ب- المعرفة وعلم الحياة :

جاءت محاولات "هوسرل" لوضع المنهج الظاهرتي أو الفينومينولوجي حتى نفهم عالم الحياة والبحث عن الحقيقة والمعرفة التي توجد في هذا العالم ويقصد بعالم الحياة من حيث المفهوم وليس عالم الحياة الموجودة حقيقة , بقدر ما يقصد به العالم الذي يشير كلية الى وعى الانسان بالعالم . والذي يقوم على منهج التأمل والأستقراء لكل الموضوعات ودراستها بصورة عقلية وواقعية , ويسعى الفرد لتفسير طبيعة العالم وما يشمله من نظم اجتماعية وخيالية وثقافة وكم معرفي هائل لا يمكن إدراكه إلا عن طريق وعى الأنسان بذاته. كما يعتمد الانسان على الإدراك الحدسي , لأنه الصلة الاساسية التي تربطنا بالعالم , ومن ثم تقوم جميع أنواع الوعي على عملية الإدراك. فعندما يقوم العالم بعملية التأمل فإنه يكتشف أنه ليس عالماً خاصة به بمفرده بقدر ما هو عالم معان وقيم وإن الأنسان قد ساهم في تشكيلة من غير وعى , ويكشف أنه عالم ناتج عن تجارب الآخرين أو من أفراد لهم نفس النشاطات الواعية , فالعالم – عالم الحياة – يظهر من خلال ما يكتشفه الانسان أو يرده الى الوعي الخالص , وهو عالم بيني وذاتي وما يسمى بعالم الرد أى الرجوع الى الذات الواعية.^{٤٥}

ومن هذا المنطلق , يرى "هوسرل" بأن تفاعل الأنسان مع الوجود , هو المصدر الأساسي للفكر والتأمل والوعي المعرفي وإن إثراء المعرفة تعتمد أساساً على التفاعل مع الآخرين , الذين يتفاعلون بدورهم مع الوجود.

شوتز وفينومينولوجية العالم الاجتماعي :

جاءت آراء أنصار النظرية الفينومينولوجية لتؤكد على أهمية علم الاجتماع لتقديم رؤية تحليلية للعالم الخارجي الذي نعيش فيه , هذا بالرغم من تأكيدهم أيضاً على كيفية تصورنا لهذا العالم عن طريق إدراكنا ومفاهيمنا التي نكتسبها عن طريق الخبرة وتحليل الظواهر الخارجية ومماثلتها بما يجرى في حياتنا اليومية . وهذا ما تمثل بالفعل في آراء أبرز رواد الفينومينولوجي شهرة وأهمية وهو " الفرد شوتز " (١٨٩٩-١٩٥٩) وجاءت النشأة الأولى لشوتز باعتباره فيلسوفاً اجتماعياً , ترك ألمانيا عام ١٩٣٩ هروباً من بطش النازية وهاجر الى الولايات المتحدة , وأمتن العديد من

^{٤٤} المرجع السابق , ص ٣١٦ .

^{٤٥} عبد الله عبد الرحمن . مرجع سابق . ص ٢٢٠ .

المهين لمواجهة ظروف الحياة , ثم بدأ تدريس الفلسفة الاجتماعية بمدرسة البحث الاجتماعي الجديدة بنيويورك حتى عام ١٩٤٣ , ثم أصبح أستاذاً لعلم الاجتماع والفلسفة عام ١٩٥٢ وظل بهذه المدرسة حتى وفاته عام ١٩٥٩ وعموماً يعتبر أول من قدم النظرية الفينومينولوجية وأسسها في الولايات المتحدة .^{٤٦}

حقيقة تعددت إسهامات "شوتز" في مجال النظرية الفينومينولوجية التي ربط فيها بين التحليلات الفلسفية والسوسولوجية والسيكولوجية في نفس الوقت وعموماً نسعى حالياً لطرح أهم أفكار "شوتز" في هذه النظرية كما يلي .

● المعرفة والعالم الاجتماعي :

ارتبطت إسهامات "شوتز" بالفينومينولوجية من خلال محاولة تقديم تحليل مبسط لطبيعة المعرفة الإنسانية وتكوينها للعالم الاجتماعي الذي نعيش فيه , وهذا ما جعله يستخدم الوعي أو الشعور وتحديد علاقة الذاتية بالمنهج العلمي , تلك الفكرة التي ارتبطت بمعظم تحليلات أنصار الفينومينولوجية من أمثال "هوسرل" . فالحقيقة أو الواقع الممثل في الظواهر الخارجية ما هي إلا أشياء يستطيع الوعي أو العقل أن يدرسها ويكون معان لها باعتبارها أشياء الموضوعات , ثم التعرف عليها بواسطة الحواس وأصبحت لها شكلاً ومعنى في نفس الوقت. وبمرور الزمن تستطيع الذات الإنسانية أن تكون ما يعرف بعالم الحياة الذاتي لديها ولا سيما أن الإنسان يقدر على اختزال وتحديث المعرفة التي تكونت عن طريق الخبرة وإن كان في كثير من الأحيان يستطيع الإنسان أن يتخلى عن جزء من هذه المعارف وما تحتويها من أشياء وموضوعات , وهذا ما أطلق عليه "شوتز" بقصدية الوعي أو الشعور تلك الفكرة التي أستمدتها من أفكار أستاذه "هوسرل" وتصيح عموماً المعرفة ما هي إلا نتاجاً خالصاً للوعي الذاتي.^{٤٧}

وإن كنا نلاحظ أن آراء "شوتز" وارتباطها بتصورات هوسرل تتقارب كثيراً من آراء عالم الاجتماع "ماكس فيبر" ولاسيما تصوراته حول مقولة الفهم والمعنى اللتان تعتبران من أهم مكونات المنهج العلمي عند "فيبر" ولاسيما عند محاولته لوضع نظرية عن الفعل الاجتماعي.

ونلاحظ أن "شوتز" سعى لتحليل عالم الحياة اليومية في محاولة منه لدراسة كل من التجارب والأفعال الاجتماعية التقليدية والمألوفة للأفراد العاديين . ولا سيما أن العلم الاجتماعي ما هو إلا محصلة لتراكم الخبرات والمواقف الاجتماعية التي تظهر في الحياة اليومية المألوفة . ومن ثم يجب علينا عندما نسعى لفهم العالم الاجتماعي ,

^{٤٦} عبد الله عبد الرحمن , مرجع سابق , ص ٢٢٤ .

^{٤٧} السيد الحسيني , الاتجاهات الفينومينولوجية الحديثة في علم الاجتماع , عالم الفكر , مجلد ٢٥ ,

العدد ٢ ديسمبر ١٩٩٦ , ص ٧٥ .

أن نحلل أولاً طبيعة عالم الحياة , ذلك العالم الذى يتكون من خلال تجميع الأنشطة الذاتية للأفراد . أن جميع الأفراد يسهمون فى بنائه وتشكيله .
الانتقادات الموجهة للنظرية الفينومينولوجية:

تعرضت النظرية الفينومينولوجية للعديد من الانتقادات كغيرها من النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة , ويمكن أن نشير الى عدد من الانتقادات التى وجهت الى النظرية الفينومينولوجية وذلك بصورة مختصرة كما يلى:^{٤٨}

• جاءت تصورات أنصار النظرية الفينومينولوجية مرتبطة كلية بسوسيولوجيا المعرفة , ولم تخرج بعيداً عن نطاق هذا الفرع المتخصص من فروع علم الاجتماع . ومن ثم فإن هذه النظرية قد لا ترتقى الى مستوى النظرية بمفهومها العام ولم تستطع على الأقل أن تطرح منظوراً أو مدخلاً متميزاً لدراسة المجتمع أو النظام الاجتماعى .

• ظهرت كثير من تصورات ومفاهيم الفينومينولوجية غامضة ومبهمة , وهذا ما ظهر على سبيل المثال فى تحليلات روادها حول مفهوم الحياة اليومية أو عالم الحياة والعلاقة بينهم . أو كيفية أختزال الفينومينولوجي للمعرفة .

• لم يوضح أنصار الفينومينولوجي كيفية تنظيم المعرفة أو الحصول عليها فى عالمنا المتغير والسريع , اللهم عن طريق العقل والادراك . فسعت الفينومينولوجية لآحياء مناهج الفلسفة العقيمة التى تم هجرها لقرون طويلة بسبب ظهور المناهج العلمية الوضعية التى انتقدتها الفينومينولوجية بشدة .

• جاءت تحليلات الفينومينولوجية مرتبطة بتصورات عدد من علماء الاجتماع التقليديين ولاسيما تصورات "فيبر" و"دوركايم" و"ماركس" و"سيمل" وغيرهم من الرواد التقليديين دون الاخذ فى الاعتبار محصلة الانتقادات التى وجهت اليهم وكيفية الاستفادة منها .

تعقيب :

تزامنت عملية ظهور الفينومينولوجية مع الكثير من النظريات السوسيولوجية الكبرى أو بالتحديد بعد أن انتشرت أفكار البنائية الوظيفية والماركسية التقليدية ولم تعد تشبع الفراغ العلمى الأكاديمى الذى ظهر عند مجموعة من العلماء والفلاسفة والمفكرين , نظراً لإغفالهما الكثير من الجوانب المجتمعة التى انعكست من خلال توجهاتهما الايديولوجية , وهذا ما ينطبق على الوظيفية كنظرية رأسمالية أو الماركسية كنظرية شيوعية. أما الفينومينولوجية فجاءت من أجل البحث العلمى المحض , وللتحقق من دراسة الظواهر الاجتماعية بصورة بعيدة تماماً عن النزعات الوضعية التى تغلغت فى الدراسات السوسيولوجية والسيكولوجية أو التاريخية أيضاً وهذا ما جاء فى نقد رواد الفينومينولوجية وخاصة "هوسرل" و"شوترز" .

^{٤٨} عبد الله عبد الرحمن . مرجع سابق. ص ٢٣٨ .

وجاءت الفينومينولوجية كمحاولة جديدة لاعادة تقييم كل من المناهج وأساليب البحث والدراسة التي يجب أن تفسر من خلالها الظواهر والمشكلات الاجتماعية , وهذا ما اكد عليه علماء الفينومينولوجي وتأكيدهم على المناهج العقلية ذات الطابع التاملي او الأستقرائي والتي تعتمد على العقل والخبرة والوعي أو الشعور الذاتي في تعقل وإدراك العالم الخارجي الطبيعي أو الاجتماعي .

كما حاول أنصار الفينومينولوجية تطوير الأساليب العلمية وخاصة ما يعرف بالمناهج الكيفية التي أكتسبت شهرة كبيرة عند دراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة , ولا سيما بعد أن فقدت قيمة الأساليب الكمية ذات الطابع العلمي الوضعي التي يمكن الاستفادة منها بصورة كبيرة عند دراسة الظاهر الطبيعية التي يمكن خضوعها للبحث والتجريب المعملی. ومن هذا المنطلق ركز انصار النظرية على دور علم الاجتماع عامة وعلى سوسيولوجيا المعرفة خاصة.

ومن ناحية أخرى , حرص انصار الفينومينولوجية سواء روادها الاوائل من أمثا " هوسرل" و " شيلر" و " شوتز" على تبني النماذج والبناءات النمطية المثالية كعناصر منهجية هامة لدراسة الظواهر الاجتماعية لانها تساعد في فهم الواقع الخارجي , وباعتبارها بناءت عقلية وفكرية تسهم في عملية التنظير من ناحية والتوصل الى القوانين وتصورات عامة حول الظاهرة المدروسة الواقعية من ناحية أخرى .

ثالثاً: الإتجاه الأثنوميثودلوجي ودراسة الحقيقة الإجتماعية

وقد ظهر المنظور الأثنوميثودلوجي كأحد البدائل النظرية التي تتخذ موقفا نقديا من النظريات الإجتماعية التقليدية , وخاصة من الإتجاه الوضعي في علم الاجتماع وإمتداداته المعاصرة , والرجوع إلى الفلسفة الظاهرانية او فلسفة الظواهر .

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية والفينومينولوجية والإتجاهات النقدية، صاغ عالم الاجتماع الأمريكي (هارولد جارفينكل) مفهومه عن المنظور الأثنوميثودلوجي، وأستطاع (جاروفينكل) تكوين مدرسة فكرية لتبني هذا المنظور الجديد في جامعة كاليفورنيا ، حيث كان يزاول مهنة التدريس في مدينة (لوس أنجلوس) ثم إنتشر هذا المنظور حديثا في باقي الولايات المتحدة ، وكندا ، وبريطانيا وغير ذلك من الدول. وفي الوقت الحاضر وجد أن هناك كثيرا من العلماء الذين تبنوا المنظور الأثنوميثودلوجي ، ومنهم على سبيل المثال (زيمرمان ، وردي ، ميهان ، هوسترن وود).

ولذلك سوف نتناول المناهج المستخدمة في الإتجاه الاثنوميثودلوجي وذلك ن خلال العناصر التالية تعريف الأثنوميثودلوجي ., الجذور الفكرية للإتجاه الأثنوميثودلوجي, عوامل ظهور الإتجاه الأثنوميثودلوجي, تصور المنظور

الأنثوميثودولوجي للواقع الاجتماعي، تصور المنظور الأنثوميثودولوجي لطبيعية الإنسان وقدراته، المناهج المستخدمة في المنظور الأنثوميثودولوجي .
- الملاحظة بالمشاركة، تعريف الملاحظة بالمشاركة ، القواعد العامة لاستخدام الملاحظة بالمشاركة ، الملاحظة بالمشاركة عند الانثروبولوجي، عيوب الملاحظة بالمشاركة
أولاً: تعريف الأنثوميثودولوجي:^{٤٩}

عند محاولة تحديد المقصود بمفهوم الأنثوميثودولوجي نجد أن ثمة كتابات عديدة فيما بينها وهي بصدد تحديد المقصود بذلك المصطلح.

فيتكون مصطلح ethno methodology من مقطعين يتكون من الكلمة اليونانية ethno التي تعني الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة ، أما المقطع الآخر methodology فيشير إلى المنهج أو الطريقة ومن ثم يمكن ترجمة هذا المصطلح على إعتبا أنه يعني " دراسة المناهج الشعبية" أو "الطرق التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية"^{٥٠}

مما يشير إلى أن المنظور الأنثوميثودولوجي يهتم أساسا بتطوير مناهج للبحث ، ويدفعنا إلى البحث عن هذه المناهج المستخدمة في الدراسات الأنثوميثودولوجي .

- ويعرف الأنثوميثودولوجي بإعتباره " مسلمات الحس المشترك أو الذوق العام " الذي يستخدمه الناس لتقودهم في حياتهم اليومية ، ومن ثم نجد أنهم يعتبرون علماء الأنثوميثودولوجي هم أيضا علماء إجتماع يدرسون الطرق التي يشيد بها الناس عالهم الإجتماعي^{٥١}

وأخيرا نعرض لمناقشة جارفينكل بإعتباره من رواد هذا الإتجاه في تحديد المقصود به^{٥٢}

ففي التعريف الأول : يشير جارفينكل إلى أن دراسة الإتجاه الأنثوميثودولوجي تتضمن تحليل الأنشطة التي يقوم بها الأعضاء في الحياة اليومية والطرق التي يسلكونها أيضا في مثل هذه الأنشطة الظاهرة.

أما التعريف الثاني له نجده يحدد موضوع إهتمام في " معالجة الأنشطة والوقائع الملموسة وكذلك الأوضاع السوسولوجية وذلك بإعتبارها موضوعات للدراسة المبيريقية " ومن ثم فإنه يهتم بالأنشطة المألوفة في الحياة اليومية وعادة ما يسجل

^{٤٩} طلعت لطفي ، كمال الزيات ، النظرية المعاصرة في علم الإجتماع ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٤٥ - ١٤٦ .

^{٥٠} السيد عبد العاطى السيد ، السيد الرامخ ، النظرية الاجتماعية الحديثة ، كلمة النشر والتوزيع ، ٢٠١٢ ، ص

^{٥١} المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

^{٥٢} المرجع السابق - ص ٢٢٩ .

أيضا الأحداث غير المألوفة وذلك بهدف التعرف عليها كظاهرة وإكتشاف بعض القواعد التي تحكمها^{٥٣}

وبصورة عامة يمكن القول أن مفهوم الأنثوميثودولوجي يشير إلى "دراسة الطرق التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية".
ثانيا: الجذور الفكرية للإتجاه الأنثوميثودولوجي :

ظهر مصطلح (الأنثوميثودولوجي) في عام ١٩٦٧ حينما نشر العالم الأمريكي (هارولد جارفينكل)^{٥٤}.

كتابه بعنوان "دراسات في الأنثوميثودولوجي" ويعد هذا الإتجاه من أحدث الإتجاهات المعاصرة في علم الإجتماع ، ونجد أن معظم الدراسات الإجتماعية التي إنطلق من هذا المنظور الجديد قد تم إجراؤها خلال العشرين سنة الماضية^{٥٥}

ترجع الجذور الفكرية للمنظور الأنثوميثودولوجي إلى كل من الفاعلية الرمزية ، والفلسفة الظاهرية (فلسفة الظواهر) وعلى الرغم من تأثر هذا المنظور بأراء هاتين المدرستين من مدارس الفكر الإجتماعي ، إلا أن هذا المنظور قد إتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع أو العالم الإجتماعي ، مما أدى إلي ظهوره على إعتبار أنه احد البدائل النظرية المعاصرة في علم الإجتماع الغربي.

وإذا كان المنظور الأنثوميثودولوجي قد إستمد جذوره من التفاعلية الرمزية ، والفيونوميثودولوجي ، إلا أن هذا المنظور - كما يرى (ألفت جولدنر) يرتبط إرتباطا وثيقا بالإتجاهات النقدية التي شهدها علم الإجتماع في الستينات من القرن العشرين.^{٥٦}
وقد ظهر المنظور الأنثوميثودولوجي كأحد البدائل النظرية التي تتخذ موقفا نقديا من النظريات الإجتماعية التقليدية ، وخاصة من الإتجاه الوضعي في علم الإجتماع وإمتداداته المعاصرة ، والرجوع إلى الفلسفة الظاهرية أو فلسفة الظواهر.^{٥٨}

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية والفيونومينولوجية والإتجاهات النقدية ، صاغ عالم الإجتماع الأمريكي (هارولد جارفينكل) مفهومه عن المنظور الأنثوميثودولوجي، وأستطاع (جاروفينكل) تكوين مدرسة فكرية لتبني هذا المنظور الجديد في جامعة كاليفورنيا، حيث كان يزاول مهنة التدريس في مدينة (لوس أنجلوس) ثم إنتشر هذا المنظور حديثا في باقي الولايات المتحدة ، وكندا ، وبريطانيا

^{٥٣} طلعت لطفي ، كمال الزيات ، النظرية المعاصرة في علم الإجتماع ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٤٥ - ١٤٦ .

^{٥٤} المرجع السابق.

^{٥٥} المرجع السابق

^{٥٦} طلعت لطفي ، كمال الزيات ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

^{٥٧} طلعت لطفي ، كمال الزيات ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

^{٥٨} عبدالله عبد الرحمن، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣ ، ص

وغير ذلك من الدول . وفي الوقت الحاضر وجد أن هناك كثيرا من العلماء الذين تبنوا المنظور الأثنوميثودولوجي ، ومنهم على سبيل المثال (زيمرمان ، وردى ، ميهان ، هوسترن وود.^{٥٩}

ثالثا: عوامل ظهور الاتجاه الأثنوميثودولوجي:

نشر هاردينكل في كتابه (دراسات في الأثنوميثودولوجي) مجموعة من العوامل التي أدت إلى ظهور الأثنوميثودولوجية وهي بإيجاز:^{٦٠}

(١) فقدان الثقة في النظريات السوسيولوجية الكبرى وخاصة البنائية الوظيفية ، والتي لم تعد بمثابة الإطار المرجعي للتفسيرات السوسيولوجية بصورة مرضية من جانب العديد من المهتمين بعلم الاجتماع وخاصة المنظرين له.

(٢) التناقض الفكري الواضع للوظيفية وطبيعتها المرجعية في تفسير الواقع وخاصة التي ظهرت فيه وهو المجتمع وهذا ما أدى إلى وجود تناقض بين الرؤية النظرية والواقع التي تقوم بتفسيره.

(٣) إنتشار حدة الأزمات السياسية والأخلاقية التي تعرض لها سواء المجتمع الأمريكي أو غيره من المجتمعات الأوروبية والنامية نتيجة لإنتشار الحروب العسكرية والإنفصالية والدينية والسياسية وعجز العلوم الإجتماعية في دراسة الظواهر والمشكلات الإجتماعية.

(٤) إخفاق النظريات السوسيولوجية التي تقوم على الفلسفات المتجددة مثل الفينومينولوجي والوجودية وغيرها من النزعات التي اتسمت بالطابع المثالي في بعض الأحيان والتي سعت لتفسير الواقع الإجتماعي ونظمه ومؤسساته بصورة خيالية او مجردة بصورة كبيرة.

(٥) ظهور الاتجاه الرافض للنزعات العلمية الخالصة مثل الوضعية ومحاولة تطبيقها في العلوم الإجتماعية ذات الطابع الإنساني ، والتي تركز أفكارها ومسلّماتها الأساسية حول علاقة الإنسان بالمجتمع وتفسير ما ينتج عن ذلك في ضوء أطر تصويرية ومنهجية ذات طابع علمي ، ودون الإهتمام بطريقية دراسة الظواهر الإجتماعية المتباينة شكلا ومضمونا عن الظاهرة الطبيعية.

رابعا: تصور المنظور الأثنوميثودولوجي للواقع الإجتماعي:

على الرغم من أن المنظور (الأثنوميثودولوجي) يعتبر أحد الإتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية ، إلا أن هذا المنظور يعتبر منظورا مختلفا تماما عن غيره من النظريات الأخرى التي تشكل الإتجاه التفاعلي ، إذ يهتم هذا المنظور بتحليل الطرق التي يتحدث بها أعضاء المجتمع إلى بعضهم البعض في الحياة اليومية، بحيث يظهر هؤلاء الأعضاء على أنهم كائنات عقلانية توجه سلوكهم مناهج

^{٥٩} عبدالله عبد الرحمن، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٤٢-٢٤٥.

^{٦٠} طلعت لطفى ، كمال الزيات ، مرجع سابق ص ١٤٩.

عقلية رشيدة ، وعلى سبيل المثال يهتم المنظور الأثنوميثودولوجى بالطرق التى يتبناها أعضاء المجتمع لإقناع بعضهم البعض بأن أحد الأفراد يكون أو لا يكون منحرفا.^{٦١} ويفترض أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجى أن النظام الإجتماعى العام يتم المحافظة عليه عن طريق إستخدام أعضاء المجتمع لعدة طرق وإجراءات منهجية تجعلهم يشعرون بالحقيقة الإجتماعية الخارجية أو النظام الإجتماعى العام ، أى أن اتفاق أعضاء المجتمع على مجموعة عامة من الطرق أو الإجراءات هو الذى يشكل معنى الواقع الإجتماعى بوجه عام ، لذلك لابد من دراسة الطرق والإجراءات المعقدة التى يتخذها أعضاء المجتمع بشكل شعورى أو لا شعورى من أجل تشكيل الواقع الإجتماعى.^{٦٢}

ويهدف المنظور الأثنوميثودولوجى إلى وصف كيفية قيام أعضاء المجتمع أثناء تفاعلهم فى الحياة اليومية - بصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة ، وكيفية قيامهم بتشكيل الحقيقة الإجتماعية ، ويرى أصحاب هذا المنظور أن تشكيل الحقيقة الإجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير وذلك نظرا لأن موافقة أعضاء المجتمع حول تعريف مواقف الحياة الإجتماعية المختلفة تعد عملية متغيرة (ديناميكية) وغير ثابتة ومن ثم فإن أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجى يضيفون إلى الإتجاهات النظرية الأساسية فى علم الإجتماع ، إهتمامهم بدراسة التغير الإجتماعى على مستوى الوحدات الإجتماعية الصغيرة النطاق.^{٦٣}

ويرى "جارفنكل) أن وظيفة عالم الإجتماع هى محاولة التعرف على الجوانب الخفية من الحياة الإجتماعية ، تلك الجوانب غير المرئية والتى لا نشعر بها نظرا لأنها مألوفة جدا.

ومن ثم يجب الكشف عن هذه الجوانب وجعلها فى متناول إدراك أعضاء المجتمع . ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق مخالفة القواعد أو المبادئ الخفية بطريقة مفاجئة تجعلنا ندرك الجوانب المألوفة التى تختفى وراء السلوك ، إذ أن مخالفة المؤلف من شأنها أن تكشف عن وجوده.^{٦٤}

ويتضح مما سبق أن المنظور الأثنوميثودولوجى يؤكد أن الواقع الإجتماعى فى حالة تغير دائم ، وأنه يمكن دراسة هذا التغير على مستوى الوحدات الإجتماعية الصغرى دون الوحدات الكبرى ونجد أن هذا المنظور يحث الأفراد على تغيير ذاتهم بدلا من تغيير النظام الإجتماعى القائم.

^{٦١} المرجع السابق ص ١٥

^{٦٢} المرجع السابق ص ١٥٠.

^{٦٣} المرجع السابق ص ١٥٠.

^{٦٤} عبدالله عبد الرحمن. مرجع سابق، ص ٢٤٣.

خامسا : تصور المنظور الأثنوميثودولوجي لطبيعية الإنسان وقدراته:^{٦٥} من تحليل الأفكار الواردة في المنظور الأثنوميثودولوجي يتضح ان هذا المنظور ينظر إلى الإنسان على إعتبار أنه إيجابي ، ويتصور أفراد المجتمع على أنهم يشكلون الواقع أو الحقيقة الإجتماعية ، دون تصورهم في حالة خضوع مستمر للقوى الخارجية .^{٦٦}

ويصور المنظور الأثنوميثودولوجي الإنسان على إعتبار أنه كائن عقلائي له أفكاره وتصوراته الخاصة التي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات السائدة فيها ، ويرى هذا المنظور أن لأعضاء المجتمع تصوراتهم العقلانية التي يكونوها من خلال علاقات التفاعل ، ومن خلال المعانى الذاتية التي يضيفها هؤلاء الأعضاء على أفعالهم ، ومن خلال نقل المعرفة للأخرين ، وتشكيل معنى مظاهر النظام الإجتماعي العام ومن ثم فإن أعضاء المجتمع هم الذين يقومون بتشكيل وبناء عالمهم الإجتماعي أكثر من كونهم يتم تشكيلهم عن طريق هذا العالم الإجتماعي ، نظرا لأن هذا العالم ليس له وجود في حد ذاته بعيدا عن حسابات وتفسيرات أعضاء المجتمع أى أن المنظور الأثنوميثودولوجي يصور الإنسان على أنه صانع الواقع وليس نتاجا له^{٦٧} ويرى أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجي أن هناك مناهج عقلية رشيدة توجه سلوك الإنسان، وان الإنسان يحاول إضفاء المعقولية على سلوكه أثناء عملية التفاعل مع الآخرين فى الجماعات الصغيرة .

سادسا: المناهج المستخدمة فى المنظور الأثنوميثودولوجي:

تبين مما سبق أن مصطلح " الأثنوميثودولوجي" يشير إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة فى صياغة وتشكيل الحقيقة الإجتماعية فى حياتهم اليومية لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة فى الدراسات الأثنوميثودولوجية . وفى هذا الصدد نجد أن (جارفنكل) وزملاؤه من الباحثين قد قدموا وقاموا بإجراء بعض الدراسات الأمبريقية التي تكشف عن المناهج المختلفة التي يمكن أن يستعين بها الباحث الأثنوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث .^{٦٨}

وقد إنتقد أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجي طرق وأدوات البحث المستخدمة حاليا فى علم الإجتماع مثل المسح الإجتماعي والمقابلات . كما رفضوا إستخدام صحيفة الإستبيان، كوسيلة لجمع البيانات الكمية التي تتطلبها الدرايات الأثنوميثودولوجية ، وذلك على أساس الأمثل هذه الأساليب الكمية تفضل بين الباحث

^{٦٥} المرجع السابق ، ص ١٥١ .

^{٦٦} المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

^{٦٧} عبدالله عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

^{٦٨} عبدالله عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

وموضوع دراسته ، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع يعرفها الباحث فرضا على أداة بحثه . بالإضافة إلى أن موقف التفاعل بين الباحث والمبحوث يؤثر على حجم ونوعية البيانات التي يتم الحصول عليها .^{٦٩}

ولكى يتعرف الباحث الأثنوميثودولوجي على أفكار وقواعد سلوك المبحوث دون أى تدخل من طرق الباحث ، يرى أصحاب هذا المنظور أنه يمكن إستخدام طريقة الملاحظة بالمشاركة participant observation المناهج المستخدمة فى الدراسات الأثنوميثودولوجية:

(١) الملاحظة بالمشاركة

(١) وتتضمن إشتراك الباحث فى حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومساهمته فعليا فى مختلف الأنشطة التى يقومون بها فى حياتهم اليومية وفى فترة محددة وهى فترة الملاحظة.^{٧٠}

(٢) وقد إنقسم المشتغلون بمناهج البحث حول إفصاح الباحث عن نفسه للمبحوثين ، فهناك من يرى أنه ينبغى ألا يفصح الباحث عن نفسه ليظل سلوك الجماعة تلقائيا بعيدا عن التصنع والرياء.^{٧١}

وهناك من يرى ضرورة أن يفصح الباحث عن شخصيته والهدف من تواجده بين أعضاء الجماعة.^{٧٢}

(٣) وتتفاوت درجة المعاشية من معاشية كاملة كما يفعل الأثنوميثودولوجي إلى مشاركة جزئية كما يفعل الباحث السوسولوجي بحيث يصبح عضوا من أعضائها ويشارك جميع أنشطتها . وقد شارك فى بعض الأنشطة.^{٧٣}

(٤) فعلى سبيل المثال لا يمكن للباحث السوسولوجي أن يصبح مجرما بهدف دراسة لعصابة من المجرمين أو يصبح عضوا حقيقيا فى جماعة أو خرقه وبنية يقوم بدراستها .^{٧٤}

أمثلة على إستخدام الملاحظة بالمشاركة:-

^{٦٩} طلعت إبراهيم لطفى ، كمال عبد الحميد الزيات ، النظرية المعاصرة فى علم الإجتماع ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٥١ .
^{٧٠} طلعت إبراهيم لطفى ، كمال عبد الحميد الزيات ، ص ١٥١ .

^{٧١} المرجع السابق - ص

^{٧٢} (المرجع السابق ، ص ١٥١)

^{٧٣} فاروق أحمد مصطفى ، محمد عباس إبراهيم - الأثنوبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠١١ ، ص ٢٣٧ .

^{٧٤} محمد عبده محجوب ، طرق ومناهج البحث السوسيوأنثروبولوجي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠١١ ، ص ٥٣ .

- (١) في المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية أجرى بحث عن تعاطى المخدرات (الحشيش) وقام أحد الباحثين بمشاركة المبحوثين في عملية التعاطى . وكان يصرف له كمية من المخدرات من قبل السلطات لهذا الغرض.
- (٢) في قسم الأنثروبولوجى بجامعة الأسكندرية قام أحد الباحثين بدراسة (رائدة عن التسول) للحصول على درجة الماجستير وإستخدم أسلوب الملاحظة بالمشاركة ، وأندس داخل جماعة المتسولين بمدينة الأسكندرية وأصبح عضوا نشطا بينهم وساعده على ذلك بعض سماته الفيزيائية ليكون (ضريير)
- (٣) إستعان " دوديل " وهو من علماء الأنثربولوجيا بهذا الأسلوب فى دراسته للعلاقات الإنسانية داخل أحدى مستشفيات الأمراض العقلية بالولايات المتحدة الأمريكية حيث قام متخفيا فى دور مريض وعاش مع المرضى والأطباء لمدة شهرين دون علم المرضى والأطباء.
- (٤) ينبغى على القائم بالبحث عدم التحيز يجب أن يكون موضوعيا ويتعلم لغة أفراد مجتمع الدراسة إذا كان يدرس مجتمعا غير مجتمعه مثال المجتمعات البدائية والنوبية. القواعد العامة لإستخدام الملاحظة بالمشاركة:
- (١) التعرف على الخصائص الإجتماعية للجماعة موضوع الملاحظة من واقع البيانات المنشودة المتاحة (تاريخية - أحصائية - متباينة) ^{٧٥}
- (٢) التعرف على القادة الرسميين وغير الرسميين والأستعانة بالأخباريين . ^{٧٦}
- (٣) شرح ما يقوم به الباحث إلى الأخباريين وهم يقومون بتوصيله ذلك إلى مجتمع البحث.
- (٤) مشاركة أعضاء المجتمع إهتماماتهم العامة.
- (٥) ينبغى على الباحث عدم توجيه اسئلة حساسة إلى أفراد البحث إلا بعد توطيد العلاقة الشخصية معهم.
- (٦) البعد عن أبداء الرأى فى بعض الموضوعات الحساسة التى قد تثير غضب بعض المبحوثين . ^{٧٧}

تقيب
وقد إنتقد أصحاب المنظور الأنثوميثودولوجى طرق وأدوات البحث المستخدمة حاليا فى علم الإجتماع مثل المسح الإجتماعى والمقابلات . كما رفضوا إستخدام صحيفة الإستبيان ، كوسيلة لجمع البيانات الكمية التى تتطلبها الدراسات

^{٧٥} أحمد قيطون، المنهج الأنثروبولوجى، الدراسات المبدئية، جامعة رلفة، الجزائر، www.manifest.univ-ouargla

^{٧٦} مصطفى عمر حماده وآخرون ، الأنثربولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ٢٠١٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

^{٧٧} المرجع السابق

الأنثوميثودولوجية ، وذلك على الأساس الأمثل هذه الأساليب الكمية تفصل بين الباحث وموضوع دراسته ، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع يعرفها الباحث فرضاً على أداة بحثه . بالإضافة إلى أن موقف التفاعل بين الباحث والمبحث يؤثر على حجم ونوعية البيانات التي يتم الحصول عليها .

ولذلك فقد جاء نزول الباحثين بأنفسهم وتلاميذهم وانتقالهم للمعيشة في مجتمع البحث ليعطى مصداقية عالية للمادة العلمية التي يعتمد عليها التحليل الأنثوميثودولوجي ويعتمد الباحث على الملاحظة بالمشاركة في جمع مادته العلمية بعد أن تتأصل العلاقة الشخصية والمهنية التي تربطه بأعضاء الجماعة أي بعد يكتسب ثقتهم في جدوى العمل الذي يقوم به بينهم وقدرته على مساعدتهم وأمانته على أسرهم .

رابعاً: نظرية ما بعد البنيوية :

شهدت حقبة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين تطورات سريعة في مجال النظرية السوسولوجية المعاصرة ، وهذا ما ظهر بالفعل وشاهدناه بالدراسة والتحليل لعدد من النظريات التي تعتبر سلسلة متلاحقة من التفكير والتنظير المستمرين .

وعلى أية حال ، إن نظريات ما بعد البنيوية تطرح أفكاراً أو تصورات جديدة ، وحاولت أن تنظر إلى القضايا والمسلمات الأساسية التي قامت عليها سواء الماركسية أو النظرية النقدية أو البنائية الوظيفية ، أو النظرية البنيوية أو الماركسية الأوربية بنظرة نقدية في بعض الأحيان ؛ نتيجة لمحصلة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي طرحتها أو أفرزتها الحياة المعاصرة للمجتمعات الحديثة ولأسيما خلال الربع الأخير من القرن العشرين .

ونركز إهتمامنا الحالي على تناول أهم الإسهامات التي طرحها رواد نظرية ما بعد البنيوية، وذلك بصورة موجزة في إطار تحديثهم للنظرية السوسولوجية المعاصرة .

الجدور الفكرية لنظرية ما بعد البنيوية :

جاءت هذه النظرية كرد فعل لمجموعة من الظروف والعوامل التي ظهرت خلال الستينيات من القرن الماضي (العشرين) ، وتشكيل ما يمكن تسميته بالجدور السياسية التي قامت عليها نظرية ما بعد البنيوية ، إلا أننا نلاحظ أن لهذه النظرية جذوراً فكرية متعددة كانت بمثابة المصدر الأساسي لطرح القضايا والمسلمات الأساسية التي قامت عليها بالفعل ، ويمكن أن نطرح فيما يلي أهم الجدور وهي :

● الجدور الفلسفية :

أهتم عدد كبير من رواد ما بعد البنيوية من أمثال فوكو ، ودريدا ، وهرست وغيرهم آخرون بدراسة عدد من الفلاسفة بدءاً من التحليلات الفلسفية الأخرى عند

افلاطون وأرسطو وأستاذهم سقراط , حتى تحليلات كانط وهيغل , وغيرهم من أنصار الفلسفات المثالية التي مهدت عموماً لقيام عصر التنوير في أوروبا . وإن كانت تحليلات ماركس بصورة عامة مصدراً هاماً . أما المصدر الفلسفي المعاصر لنظرية مابعد البنيوية فلقد تمثل في تحليلات فريدريك نيتشة الذي عاصر كثيراً من أفكار ماركس , وجاءت تصورات نيتشة مرتبطة بأفكار ما بعد البنيوية ولاسيما إنتقاده الشديد لروح الحضارة الحديثة تلك الأفكار التي أطلق عليها نيتشة ذاته الفلسفة والمطرفة , تلك الفلسفة التي تسعى إلى تحليل الزيف الذي يرتبط بالأفكار الالهية المزيفة المرتبطة بالدين والعقل , والتي كانت من أحد مبادئ العصور الوسطى المسيحية , تلك الأفكار التي إتخذ منها نيتشه موفق عدائياً لاختيارها العقل الانساني . وبإيجاز كانت آراء نيتشه ذات الطابع الشكي ضد النتائج العقلية أو العلمية التي تقوم على تزيف الوعي , وكان أحد المصادر الأساسية التي إستحدث منها نظرية ما بعد البنيوية الكثير من تصوراتها وأفكارها وهذا ما ظهر في آراء ميشيل فوكو وجاك دريدا ذات الطابع الفلسفي بصورة عامة.^{٧٨}

• الجذور الثقافية :

جاءت أفكار نظرية ما بعد البنيوية نتيجة مجموعة من التحليلات التي ارتبطت بتفسير الثقافة الغربية والتي قامت على أساس التمييز الطبقي ونتج عنها تخلف وتزييف الوعي الفردي الذي يقوم على الطاعة العمياء والموافقة التامة على ما تدعيه الطبقات العليا .^{٧٩}

• الجذور الفكرية:

أستمدت نظرية ما بعد البنيوية تصوراتها من التحليلات التقليدية التي تركتها النظرية البنيوية ولا سيما أفكار "التوسير" والتي حاولت أن تركز على أنساق المعنى والأشارات , دون تفسير كيفية الضبط والسيطرة على استخدام اللغة بما يحمله من إشارات ومعاني .^{٨٠}

• الجذور السياسية:

يرى " أيان كريب" أن إتجاه ما بعد البنيوية قد ظهر بصورة عامة نتيجة لبعض الظروف السياسية التي ظهرت في فرنسا خاصة بعد عام ١٩٦٨ , حيث أخفقت الآمال المرتبطة بدور الحزب الشيوعي الفرنسي , وظهرت منظمات يسارية

^{٧٨} عبد الله عبد الرحمن، النظرية في علم الاجتماع "النظرية السوسولوجية المعاصرة"، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٣٣٢.

^{٧٩} زائتلين، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة: محمود عودة، دار السلاسل الكويت، ١٩٨٩، ص ٧٨.

^{٨٠} عبد الله عبد الرحمن مرجع سابق، ص ٣٣٥.

جديدة تبنت الأفكار اليسارية وحملت على زيادة الحركة النقدية على الماركسية , وانتقدت الطبيعة التسلطية التي قامت عليها الأحزاب الشيوعية الأوروبية.^{٨١} القضايا والمسلمات الأساسية للنظرية:^{٨٢}

• ضرورة إعادة تقييم التراث الغربي الذي جاء بعد عصر التنوير , والذي يؤدي الى تحقيق نتائج إيجابية لنضوج العقل الانساني بصورة عامة , أكثر ما يساعد على إعادة تنظيم المجتمع وسبل سيطرة الطبقات القادرة أو القوية على بقية الطبقات الحرومة في المجتمعات الرأسمالية .

• إن الطبقات الفنية أو القوية , أو ما يعرف بالطبقات التي تمتلك أيضاً المعرفة والقوة , قادرة على تزييف الوعي الفردي , وأن تملك جميع عناصر الثقافة وتشكيلها بصورة مستمرة , وتعمل على جعل الطبقات الفقيرة تمثل لها في صور مختلفة من الطاعة والخضوع والأمتثال التام .

• شككت أفكار وآراء رواد نظرية ما بعد البنيوية في إعتقاد الحضارة الغربية الرأسمالية على الأساليب العلمية التي إستندت اليها لأنها تقوم على النزعة العلمية الكاملة دون إعطاء الفرصة للعقل والتفسير , فتلك النزعة التي إستمدتها الحضارة الغربية وتوريثها عن الحضارة المسيحية التي قامت على إتجاه واحد في التفسير , وهو الإتجاه الاهوتي والذي شكك في القدرة العقلية وإمكاناتها في دراسة العالم الخارجي , وهذا ما ينطبق على النزعة العلمية التي لم تعط فرصة للتفكير والتحليل والتأمل العقلاني.

• تسعى نظرية ما بعد البنيوية لإعادة تحليل الفكر الماركسي الأصلي , ولاسيما بعد أن خيبت أمالها النزعات الماركسية المحدثة والتي سعت لتطبيق الماركسية من الناحية الشكلية وليس المضمون .

• تهدف نظرية ما بعد البنيوية الى إعادة تفسير آراء رواد البنيوية الأوائل وطبيعة أفكار التوسير حول الانتاج الثقافي , وتحليل المعاني والرموز , وإنتقاد إستغلال النص اللغوي بصورة ايديولوجية وتزييفها للوعي والعقل الانساني في المجتمع الحديث .

١- ميشيل فوكو والبنيوية الثقافية :

جاءت آراء المفكر الفرنسي ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤) مثل غيره من رواد ما بعد البنيوية التي يصنف جزء كبير منها تحت تحليل النظرية البنيوية الكلاسيكية ولكن تصوراتها الأخيرة تصنف على أنها تحليلات ما بعد البنيوية . وفي الواقع إن

^{٨١} الان سوبنوجود, تاريخ النظرية في علم الاجتماع, ترجمة: السيد عبد العاطي, الاسكندرية, دار المعرفة الجامعية, ١٩٩٦, ص ٩٥.

^{٨٢} عبد الله عبد الرحمن مرجع سابق, ص ٣٤٣.

آراء فوكو جاءت معظمها مندرجة تحت ما يمكن أن نسمية بتحليلات عام الفكر الانساني , الذى يشمل عناصر وأفكار تأملية متنوعة , وهذا ما تعكسه إهتماماته الأولى كأحد الباحثين التاريخيين , أو المهتمين بالتغيرات التى حدثت على نسق وبناءات المعرفة وتصنيفها فى المجتمعات البشرية وخاصة خلال المجتمعات الحديثة . وعلى أية حال نسعى للإشارة الموجزة الى أسهامات فوكو فى النقاط التالية:^{٨٣}

أ- كتابات مابعد البنيوية المبكرة :

يري الكثير من المحللين لأفكار رواد نظرية ما بعد البنيوية أن تصورات فوكو ترتبط بتحليلات البنيوية ولا سيما مؤلفاته التى تتسم بهذه التحليلاته مثل كتابه عن " الجنون والحضارة" , الذى نشر عام ١٩٦٧ و"مولد العيادة" ١٩٧٣ , و " نظام الأشياء" و "أركيولوجيا المعرفة " ١٩٧٢ , فلقد جاءت هذه المؤلفات لتعكس مدى إهتمام فوكو بدراسة التغيرات الجوهرية التى حدثت على أنماط الفكر فى أوربا الغربية فى الفترات السابقة على المجتمع الحديث . كما إهتمت أفكار فوكو بهذه الفترة لدراسة طبيعة كيفية تطور وحدث عمليات الفكر الانساني خلال مراحل التحول للمجتمعات الرأسمالية , وكيف أهتم العقل الانساني بدراسة العلاقات المتداخلة بين الأسياء فى العالم الحديث .^{٨٤}

توصف كتابات فوكو بأنها محاولة لوضع نظرية ثقافية ابستمولوجية , تلك النظرية التى امتدت جذورها الى الثقافة الامريكية أحدثت إنقلاباً خطيراً فى مجال المعرفة الإنسانية , أو ما يعرف عموماً بابستمولوجيا العلوم الإنسانية , وإن كان هذا النوع من العلوم يرجع نشأته الى دراسة ثقافة التاريخ , لأن التريخ كان المصدر الأول للمعرفة كيفية تطور الوجود البشرى وأنماطه واساليبه ووعية.^{٨٥}

وخير مثال على إهتمامات فوكو هو كتابه الأول عن "تاريخ الجنون" الذى يعد محاولة لأبستمولوجيا المرض والجنون . حيث حاول فوكو أن يحلل طبيعة الثقافة الأوربية من وجهة نظر فلسفية ومعرفية وثقافية وطبيعية فى نفس الوقت . فيتساءل عن أسباب تفسير العالم الغربى أو الثقافة الغربية ووصفها للجنون بالمرض . وهذا ما يجيب عليه أولاً , بكيفية إنتهاء الأمر بالثقافة الأوربية ونظرتها للمرض بمعنى (الانحراف) , والنظرة الى المريض ومحاولة استبعاد من المجتمع , وثانياً , كيف سعى المجتمع الغربى ليعبر عن ذاته وعن الصورة المرضية التى وصل اليها نفسه ورفضه للإعتراف بها . والواقع , إن فوكو حاول أن ينظر الى الثقافة الغربية على

^{٨٣} أيان كريب , النظرية الاجتماعية , ترجمة :محمد غلوم, عالم المعرفة , العدد ٢٤٤ , ابريل , ١٩٩٩ , ص٣٣٣ .

^{٨٤} كينلوش , النظرية الاجتماعية, ترجمة سعيد فرح, الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية, , ١٩٩٠ , ص٣٢٠ .

^{٨٥} كينلوش , النظرية الاجتماعية, مرجع سابق, ص ٣٣٠ .

إنها حالة مرضية أو جنون . ولا سيما , أن المجتمع الغربي لا يتوفر فيه سمة العقلانية أو السعى للتحقق منها , وإنما يحرص هذا المجتمع على إنكار كل مل لا يخضع له أو يخرج عن قواعده العامة ونطاقه الخاص, ولعل هذا السبب الذي حرص فيه فوكو على دراسة المرض العقلي ومحاولته تشخيص ما وصل اليه المجتمع الغربي وثقافته بصورة عامة.^{٨٦}

ب-تنظيم الخطاب المؤسساتي:

ركز فوكو على تحليل أركولوجيا المعرفة وجعل الخطابات جزء من هذه المعرفة ولا سيما إننا نستخدم لغة الخطاب في الكثير من الكلام والحديث والمناقشة والتعبير اليومي . وهذا ما يطلق عليه حديثاً تصور ما بعد البنيوي بلغة الخطاب المؤسساتي الذي نستطيع من خلال تحليله ودراسته الكشف عن جوانب الحياة النظامية التي توجد في المجتمعات الحديثة. وفي نفس الوقت نجد فوكو عندما اهتم بدراسة الخطاب المؤسساتي يتحدث عن عالم خارجي , أو عن نظام خارج الخطاب , الذي يتمثل في بنية المؤسساتية التي ينبثق عنها الخطاب ذاته ويعتبر تجسيداً لها. ومن ناحية أخرى , إن الخطاب المؤسساتي يكشف عن مجموعة من علاقات القوى الكامنه فيه , وبالطبع , إن آراء فوكو إستمدتها من تصورات نيتشه عن العلاقة بين القوة أو المعرفة , حيث تصور الأول أن المعرفة ماهي إلا وسيلة لتمدنا بالقوة لفعل أشياء وأنشطة محددة , لا يمكن أن تقوم بها المعرفة , وإن كان فوكو يطور آراء نيتشه ويؤكد على أن المعرفة في حد ذاتها نوع من القوة نمارسها على الآخرين , وذلك من أجل السيطرة عليهم , و القوة لم تعد أداة للتحريير بل أضحت أداة للاستعباد.^{٨٧}

رأى فوكو ان عملية وضع وكتابة الخطاب , له قواعد معينة وفيه يتم تحديد ماذا نقول , وما يمكن أن نستبعده , ومن يستطيع طرح قولاً معيناً , ومن لا يستطيع أيضاً وفي أى إطار يمكن أن يقال قولاً معيناً أو خطاباً ما , أو ما لا يقال على الإطلاق , فجميع هذه الأشياء يمكن أن نطلق عليها بقواعد الخطاب.

وبإيجاز, سعى فوكو لتجسيد المعرفة عند تحليله للخطاب المؤسساتي بإعتباره نوع من القوة, ومن يستطيع أن يمتلك أو ينظم هذه المعرفة يكون قد حصل بذاته على القوة, وهذا ما يؤكد عليه عموماً في دراسته عن المجتمع الحديث الذي يتكون من العديد من أنماط القوة التي ترتبط بالمعرفة.

٢-دريدا ونظرية المعانى :

يعتبر جاك دريدا من علماء نظرية ما بعد البنيوية الذين ركزوا على اللغة , بالرغم من انتماءته الفلسفية واعتباره من اهم الفلاسفة الذين وجدوا في اللغة والنقد

^{٨٦} طلعت لطفى , وكمال الزييات , النظرية المعاصرة في علم الاجتماع , القاهرة , دار غريب , ١٩٩٩ , ص ٨٦.

^{٨٧} طلعت لطفى , وكمال الزييات , ص ٨٨.

الأدبي اتجاهاً فكرياً ونظرياً هاماً يمكن من خلاله أن يدرس طبيعة العالم الحديث . فلقد رفض دريدا النزعة التمثيلية , التي حاولت أن تجعل من نظرية اللغة التقليدية , نقطة اهتمامها الأساسية , والتي تحاول أن تربط اللغة بالأيدولوجيا المسيطرة وإعتبارها ميكانيزم للتحكم في الطبقات الفقيرة أو المحرومة في المجتمع . ولهذا السبب حرص دريدا ذو التوجه السياسي الماركسي الجديد للدعوة الى العودة لأفكار ماركس الأصلية ولاسيما بعد أن انحرفت التيارات السياسية أو النزعات الماركسية المحدثة ومنها البنيوية الاوربية عن تطبيق هذه الافكار ومحاولة تحويلها لتلائم مع الايدولوجيات المسيطرة سواء اكانت الدول العربية كما حدث في فرنسا خلال السبعينيات ممثلة في الاحزاب الشيوعية بها وفي المجتمعات الإشتراكية في نفس الوقت .^{٨٨}

ومن هذا المنطلق حرص دريدا على استخدام اللغة ولاسيما المعنى في توجيه أفكار وتصوراته العامة كغيره من انصار ما بعد البنيوية وتتلخص الفكرة الاساسية لهذه النظرية الى أن المعنى لا يأتي بحال من الاحوال عن طريق العلاقة بشيء ما خارجاً عن اللغة فلا يوجد على الاطلاق أى شيء مكن البحث عنه ليضمن لنا المعنى . حيث لا يوجد ضابط أو رقيب أو مسيطر أو آلة تلعب هذا الدور , أى لا وجود لمدلول متعال , وبمعنى آخر أن المعنى لا يمكن أن يكون حاضراً ولكنه موجود فى مكان آخر , وبالطبع إن أفكار دريدا فلسفية من الدرجة الأولى حيث يحدثنا عن الوجود واللاوجود وغير ذلك من مقولات فلسفية تسعى لأخفاء المعنى , وأبعادنا عن اللغة , تلك الفكرة التي وجدت جذورها فى النظرية البنيوية التي تؤكد على أن معنى كل كلمة من الكلمات تعتمد بدورها على تلك الكلمة وعلاقتها بكلمات أخرى .^{٨٩}

ومن ثم , فإن آراء دريدا وفكرة المعانى مرتبطة بالأفكار البنيوية التي سعت لتحليل العلاقة بين المعنى والكلمة أو المفردة , وليس بسبب وجود صفات كامنه فى الكلمة أو المفردة ذاتها . هذا النمط من التحليل كان قد ساد الكثير من التحليلات البنيوية التقليدية ولاسيما عن تفسيرهم علاقة الكلمات بكلمات أخرى . أو ما يعرف بالعلاقة التركيبية الجدولية . وهذا ما حاول دريدا أن يؤكد عليه دائما عندما سعى لإقامة نظرية حول المعانى , والتي تؤكد على أن المعنى يكمن دائما فى مكان آخر . وهو ليس مرتبط بأى شيء من خارج ذاته , كما أن العالم الذى نشاهده امامنا قد صنع لنفسه مجموعة من المعانى وليس بواسطة أى شيء آخر على الإطلاق .^{٩٠}

يحاول دريدا عن طريق نظرية المعانى أن ينظر الى أى نظام قائم على أنه ناتج عن عملية التمايز للفوضى أو النظام الفوضوي , وبما أن المعنى يكمن فى

^{٨٨} سمير نعيم , النظرية فى علم الاجتماع , القاهرة , مكتبة سعيد رافت , ١٩٨١ .

^{٨٩} ايان كريب , مرجع سابق , ص ٣٣٧ .

^{٩٠} المرجع السابق , ص ٣٣٨ .

العلاقات الموجودة بين الكلمات , وفي اختلافها وتمايزها بصورة كبيرة عن بعضها البعض , فإن عملية الدلالة تعتبر من العمليات الهامة التي تقوم بإظهار هذه الإختلافات والتميزات. ويرى دريدا ان الخطاب هو مجموعة أقوال وأحداثا صلة بعضها ببعض.
نقد دريدا للبنوييه :

استخدم رواد البنيوية فكرة الإشارة أو العلامة sign ويقصد بها كمفهوم وجود شيء ما مدلول عليه, شأنها شأن العديد من المفاهيم التي استخدمتها النظرية البنيوية التقليدية . فعلى سبيل المثال , إن مفهوم البنية structure يقصد بها وجود شيء ثابتاً ومنتظم : أما أنصار ما بعد البنيوية مثل دريدا فإنهم ينكرون هذه الأفكار تماماً , سواء المرتبطة بمفهوم الإشارة , أو مفهوم البنية في حد ذاته , حيث يرى أنه لا وجود لشيء ضمنى , ولا وجود لشيء ثابتاً. وإن كانت هذه الفكرة تؤدي الى نوع من الفوضى واللامعنى للأشياء, وينتج عن ذلك الكثير من الحيرة, وهذا ما يجعل الحياة كلها فوضى لا معنى لها , ولذا يسعى دريدا وغيره من أنصار ما بعد البنيوية , لمحاولة إضفاء شكل من أشكال النظام order , من أجل السيطرة على هذه الحياة .
٩١

على أية حال , أن محاولة دريدا للبحث عن المعنى أو التوصل الى نظرية للمعاني وتركيزه على اللغة وتفسيرها من الناحية الفلسفية , يوضح مدى العلاقة بين افكار ما بعد البنيوية والجذور الفكرية لها التي استمدتها من أفكار الفيلسوف الألماني نيتشه الذي كان يعتمد في تحليلاته على عملية توالد أو إنتاج الأفكار والمعاني ومحاولة تفسير النظام العام والحياة عن طريق هذه التوالدات الفكرية أو الذو معنى . وبالطبع , إن هذا التفسير للمعنى واللغة يقترب كثيراً من تحليلات الفينومينولوجي والنزعة الفلسفية المعرفية, والتي تستمد جذورها من تحليلات هوسرل Husserl على سبيل المثال , وأن كانت آراء دريدا التي تقوم على مصدر الفوضى لفهم العالم شأنها شأن غيرها من تحليلات ما بعد البنيوية حيث تقوم على التفسير التأويلي الذي يرتبط بالفنون والنقد الأدبي أكثر من ارتباطه بالفلسفة بصورة عامة , وبالميتافيزيقا بصورة خاصة.

٣- هيرست ومجال الفعل الاجتماعي :

تمثل تحليلات بول هرست p.hirst الاتجاه البريكاني المعاصر في نظرية ما بعد البنيوية ولاسيما أن معظم كتابات هذه النظرية سيطرت عليها اسهامات المدرسة الفرنسية شأنها شأن النظرية البنيوية أو ما تعرف بالماركسية البنيوية أو البنيوية الألتوسرية . وأن كانت آراء بول هرست جاءت مشاركة مع زميلة هندس hindess

٩١ السيد الحسيني نحو نظرية اجتماعية نقدية. دار النهضة. بيروت. ١٩٩٠. ص ١١٩.

, فحاولوا ان يطرحا تصوراتهما في إطار جديد من الافكار التي تحاول أن تخرج بعيداً الى حد ما عن سيطرة التحليلات اللغوية والتي تندرج تحت إطار نظرية المعاني أو علم المعاني العامة (علم العلامات) التي قامت جميعها على أساس التفكير البنوي وما بعد البنوي وإمتدت الى تحليلات النقد الادبي والثقافي ككل . وأفكار هيرست حاولت أن تقيم أفكارها عن طريق إعادة تحليل الأفكار الماركسية الأصلية , ولكن في إطار جديد يركز على أنماط الإنتاج وعلاقته بالتشكيل الاجتماعي social construction التي طرحت برؤى سوسولوجية جديدة.^{٩٢}

ومن ناحية أخرى جاءت آراء هيرست وزميلة في نظرية ما بعد البنوية لتنتقد بشدة آراء التوسير البنوية , ولاسيما تلك الآراء التي تقوم على فكرة التراث والتمسك بمجال تحليل المعاني العامة , وغير ذلك من أفكار ذات طابع ميتافيزيقي , تسعى لتفسير الواقع الاجتماعي من جوانب خاطئة وغير ملائمة , ولاسيما التركيز على مجال الفعل الاجتماعي وما يتضمنه من أنشطة وممارسات ومعاني ترجع معظمها الى التراث فقط. إلا أن هيرست وزميلة حاولا تحليل أفكار البنوية في إطار دراستهما للواقع السياسي والاجتماعي الذي شهدته بريطانيا خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي , ومحاولة تفسيرها للصراعات العرقية والسلالية والقومية. فلقد وجدوا من الصعوبة فهم تلك المظاهر والمشكلات الجديدة في ضوء التفسيرات الاقتصادية التي قامت عليها النظرية الماركسية أو الماركسية البنوية ولا سيما تحليلات التوسير والتي ثبتت عدم جدوى تفسير المشكلات الاجتماعية والمجتمعية بالرجوع الى العامل الأوحد . وهذا ما قام به هيرست وهندس وإنتقادهما للنظرية البنوية بأنها لا تعتبر نظرية اجتماعية أكثر من وصفها بأنها نظرية قامت على دراسة عملية تفاعل المعاني وتحليلها لمكونات الخطاب المؤسساتي.^{٩٣}

كما جاءت تصورات هيرست وهندس لتعيد آراء التوسير حول الذات والذاتية تلك الفكرة التي سيطرت كثيراً على تحليلاته بصورة عامة , وهذا ما تمثل في رؤيته بأن أجهزت الدولة الأيديولوجية تقوم بتلبية حاجات معينة في المستوى الاقتصادي لإشباع حاجات الأفراد , ولا سيما هؤلاء الأفراد الذين تم ترسيخ عقولهم بالفكر الأيديولوجي السائد سواء عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية العائلية أو المؤسساتية. فجميعها تمارس نوع من التشكيل الأيديولوجي لقدرات الأفراد حتى يصبح الفرد لدية إقتناع تام بأن ما يفعله نابع منه شخصياً أو ذاتياً وأن محصلة نشاطاته وأفعاله وممارساته نابعة من إرادته الذاتية . ولكن بالطبع هذا يعتبر شيئاً وهمياً ولا سيما أن الفرد ذاته حسب رأي البنوية وخاصة تصورات التوسير يحمل البناءات الكامنة أو غير الظاهرة وبالطبع , إن هذا التصور الخاطيء كما رأه هيرست

^{٩٢} المرجع السابق. ص ١٢٠

^{٩٣} أيان كريب . مرجع سابق . ص ٣٣٩.

وزميلة , يعتبر بعيداً عن الحقيقة والواقع وخاصة أن الفرد قبل عملية التنشئة الاجتماعية يولد صفحة بيضاء يستطيع المجتمع أن يكتب عليها ما يشاء , ولا يمكن أن نعتبر الذات الفردية مجرد نتاجاً بسيطاً يحمل آثار البناءات الاجتماعية الكامنة أو غير الظاهرة كما تصور التوسير وغيره من أنصار البنيوية الماركسية.^{٩٤} نقد هيرست للنظرية البنيوية :

- انتقد هيرست آراء البنيوية الماركسية , ولاسيما في تصوراتها حول ما يعرف بالبناءات الاجتماعية الكامنة أو غير الظاهرة latent social structures , وهذا ما انتقدت عليه البنيوية وإفتراضاتها الأساسية الميتافيزيقا في كثير من الأحيان ومحاولتها تبني تبريرات ذات الاتساق المنطقي , دون إستخدام العقل والملاحظة ومقارنتها بما هو موجود في الواقع الخارجي.

- وهذا ما تمثل بالفعل في إنتقاد هيرست لآراء التوسير البنيوية حول فكرته القائلة بأن النظرية أو اللغة تخلق موضوعاتها الخاصة بها , أو عالمها الخاص أيضاً , دون دراسة ما هو موجود في الواقع الخارجي. ولاسيما أن النظرية قد تصف ما هو موجود من موضوعات أو أشياء وتحتل من معاني وأفكار كما يرى ذلك رواد البنيوية. إلا أن تلك الفكرة إنتقدت كثير من جانب رواد ما بعد البنيوية لأنها تفسر بعيدا عن المنطق والعقل وعن رؤيتنا الخارجية التي يمكن أن نلاحظ من خلالها مقدار تغير الموضوعات والأشياء التي توجد في العالم الخارجي بصورة مستمرة , والتي لايمكن أن تتسم بوجود هذه الأشياء وتفسيرها مرتبطة فقط بالمعاني والأفكار التي تتغير بصورة مستمرة كما يتغير كل من الواقع الخارجي والنظرية أيضاً مهما كان نوعها أو قدرتها على خلق موضوعاتها أو عالمها الخاص.^{٩٥} الانتقادات التي وجهت للنظرية ما بعد البنيوية:^{٩٦}

- جاءت معظم الافكار المبكرة لنظريات ما بعد البنيوية كامتداد طبيعي للبنيوية.
 - أتسمت الكثير من آراء وتحليلات نظرية ما بعد البنيوية بالغموض وعدم الدقة في تحديد المفاهيم , واللجوء الى التفسيرات المجردة الميتافيزيقية , كما جاء ذلك في تحليلاتها حول المعاني واللغة والمعرفة والنقد الادبي والخطاب المؤسسي وعلاقة القوة بالمعرفة وغيرها من المفاهيم تحتاج الى التوضيح والتفسير.
 - لم تخرج عن كونها محاولة لإعادة طرح أفكار ماركس الأصلية في صورة حديثة ومتطورة .
- تعقيب على نظرية ما بعد البنيوية :

^{٩٤} عبد الله عبد الرحمن , ص ٣٤٤.

^{٩٥} عبد الله عبد الرحمن , مرجع سابق, ص ٣٥٥.

^{٩٦} المرجع السابق, ص ٣٥٥.

تعكس التحليلات السابقة لنظرية ما بعد البنيوية طبيعة التغيرات الحديثة التي طرأت على النظرية السوسولوجية المعاصرة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين , وأن كانت بعض آراء رواد ما بعد البنيوية قد ارتبطت الى حد كبير بتحليلات أنصار نظرية البنيوية . كما جاءت النظرية الأخيرة من أهم الجذور الفكرية التي قامت عليها الافتراضات والمسلمات الأساسية لنظرية ما بعد البنيوية , حيث جاءت تحليلات التوسير البنيوية موضع اهتمام ونقد شديد من جانب كل من هيرست وهندس وبارت ودريدا وفوكو أيضاً . فحاولت نظرية ما بعد البنيوية أن تحدث كثيراً من أفكار رواد البنيوية التقليدية, علاوة على ذلك , أتسمت معظم تحليلات نظرية ما بعد البنيوية بالتحليل اللغوى أو الإهتمام باللغة والمعانى وتحليل الخطابات أو دراسة النقد الأدبى والثقافى بصورة عامة . وهذا ما يجعلنا ننظر الى تحليلات نظرية ما بعد البنيوية بأنها تمثل نظرية اجتماعية أو سوسولوجية خالصة , بقدر ما جاءت إهتماماتها لتعكس آراء الكثير من الفلاسفة , والمؤرخين , وعلماء اللغة , والأنثروبولوجيا . وحقيقة نلاحظ من خلال تحليلنا للتراث السوسولوجى لنظرية ما بعد البنيوية أنها نظرية اجتماعية أكثر منها نظرية سوسولوجية نظراً لإرتباطها بالأدب واللغة والفن والفلسفة والتاريخ والسياسة, علاوة على إهتمامها بعلم الاجتماع .

وإن كان هذا الرأى الأخير , لا يقلل من هذه النظرية وأهميتها على المستوى التحليلى السوسولوجى , ولاسيما أن الفكر السوسولوجى خلال النصف الاخير من القرن العشرين قد أحنى تجاه العديد من العلوم الاجتماعية الأخرى التي كانت مصدرا لعدد من النظريات السوسولوجية والتي أسهمت فى ظهور فروع متخصصة فى علم الاجتماع ذاته , وهذا ما تمثل فى الجذور الفلسفية للنظرية الفينومينولوجية أو الاثنوميثودولوجى و ظهور علم اجتماع المعرفة بصورة خاصة. وهذا ما ينطق أيضاً على التحليلات البنيوية وما بعد البنيوية التي ركزت على إعادةتحليل الفكر الماركسى بصورة تتلائم مع الواقع المتغير فى المجتمعات المعاصرة خلال النصف الأخير من القرن العشرين .

ومن ناحية أخرى ,تعكس نظرية ما بعد البنيوية مدى حرص الكثير من رواد هذه النظرية على إعادة تحليل الفكر السوسولوجى والاقتصادى والثقافى عامة , كما جاء ذلك فى إهتمام فوكو , وبارت , ودريدا , وهيرست الذين حاولوا الرجوع الى الماركسية الأصلية ولاسيما بعد أن تم التشكيك فى آراء الماركسية المحدثة والتي لم تعد تحليلاتها حصيلة الأحداث والمشكلات التي ظهرت سواء فى فرنسا معقل البنيوية وما بعد البنيوية وغيرها من دول أوروبا الغربية مثل ظهور الاتجاه البريطانى لما بعد البنيوية كما تمثل ذلك فى تحليلات كل من هيرست وهندس على سبيل المثال . حقيقة , أننا نرى أن إسهامات نظرية ما بعد البنيوية تعد نوعاً من الإسهام النظرى فى مجال

العلوم الاجتماعية كل وليس فقط فى مجال علم الاجتماع أو النظرية السوسولوجية المعاصرة.

خامساً: نظرية الحدائة modernism Theory :

- الحدائة هى عبارة عن جملة الممارسات الثقافية التى يكون بعضها معادى للحدائة ذاتها.

- ويرى "ستيفن بيست S.BEST و"دوجلاس ككيلنر" D,KILLNER فى كتابهما عن نظرية ما بعد الحدائة post modernism theory , هى المرحلة الحدائة التى ظهرت بعد ظهور المجتمعات التقليدية والتى تميزت بظهور الإختراعات والديناميكية المستمرة .

- مرحلة حدوث الثورات العالمية وخاصة الأمريكية والفرنسية وغيرها من الثورات الديموقراطية التى قضت على العصر الإقطاعى , وسعت لإقامة النظام الاجتماعى الحر الذى تجسد عن طريق تبنى العقل والتقدم الاجتماعى.

- كما يشير مفهوم الحدائة الى ما يعرف بالحدائة الجمالية (الفنية) , والتى ظهرت نتيجة ظهور حركات التحديث والتى تجسدت فى ظهور العديد من الثقافات الفرعية , والتى ظهرت نتيجة لمقاومة المظاهر الإستاتيكية , والثقافية , وتعكس عمليات نقل الثقافة عن طريق وجود نوع من الفنون ذات الطابع الأبداعى والخلاق . ومن ثم , نجد أن مفهوم الحدائة تغلغل فى جميع مظاهر الحياة من خلال تعدد أنماط الفنون الحدائة , ومنتجات المجتمع الإستهلاكى consumer society , والتكنولوجيا الحدائة , ونتيجة لتعدد الأنماط الحدائة للنقل والإتصالات , وغير ذلك من خصائص ديناميكية تميزت بها الحدائة ونتاجت عنها أنماط جديدة من الإنتاج الصناعى والنظام الاقتصادى , والتى يمكن أن توصف أن توصف بمفهوم التحديث modernization ذلك المفهوم الذى يرتبط بالكثير من المفاهيم التى تعكس عمليات التحول مثل التحول نحو الفردية , والعلمانية , والتحول نحو التصنيع , والتمايز الثقافى , والنظام السلمى والتحضر , والتحول نحو البيروقراطية والعقلانية , والتى جميعها شكلت النظام العالمى الحديث.

١- نظرية العولمة :

فى ظل مناخ هذا العصر الذى يتصف بالتقدم التكنولوجى الهائل؛ ذلك التقدم الذى جعل من بلاد العالم المختلفة ثقافياً وسياسياً واجتماعياً كأنها تعيش فى (بيت كونى واحد),نتيجة لثورة الإتصالات والمعلومات , يتحتم على المرء أن يفكر على نحو جديد يتلائم مع معطيات هذا الواقع الكونى , سواء أكانت معطيات سياسية أو

اقتصادية أو فكرية أو علمية. وهى أهم الجوانب التى فى ضوءها تحدد الجوانب الأخرى حركاتها وتوجهاتها.^{٩٧}

ومع مطلع القرن الحادى والعشرين , تتعاضم المطالبة بالمساواة فى الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة , ولاسيما فى مجال العمل , وتكريس ثقافة نسائية قادرة على تبني أطر ونماذج نظرية وامبيريقية نسوية تهدف الى تحقيق هذه المساواة فى العمل والسياسة والحياة الاجتماعية . وأذا اتخذنا ا يحدث فى المجتمع المتقدم كنموذج يمتلك مقومات تقنية وعلمية تحقق له النجاح فى التعامل مع تداعيات العولمة التى يتبناها , فأين نحن كمجتمع نام داخل مجال المنافسة العالمية من حيث الاهتمام بقوة العمل كما ونوعاً , وخاصة بالنسبة لقوة العمل النسائية والتوجهات نحو زيادة مشاركتها فى الاعمال الابتكارية والمتخصصة واعادة تأهيل وتدريب وتمكين هذه القوة ؛ لتصبح ملائمة لمتطلبات السوق العالمية من خلال اعتمادنا على المؤشرات الاحصائية لقوة العمل فى مصر .^{٩٨}

ومع التسليم بالفرق فى مستوى التحديث بين المجتمع المتقدم أو مجتمع ما بعد الحداثة – مجازاً – والمجتمع المصرى الذى يسعى للاخذ بالتحديث ؛ فإن وجه الاستفادة من خبرات الاول فى مجال تبني مفهوم جديد للعمل المنتج وتبنى منهجية جديدة فى حساب نسبة المساهمة فى سوق العمل وتطبيق نماذج حديثة فى مجال تنشيط سوق العمل واكساب المهارات لقوة العمل تعتبر هدفاً . بما يفيد مستقبلاً فى وضع خطط و استراتيجيات تعظيم قوة العمل فى مصر وأعادة تقدير مساهمة المرأة المصرية بناء على معطيات الخبرة العالمية وخصوصية المجتمع المصرى فى هذا المجال.^{٩٩}

كما أنه لم يتم التعرف على نظرية العولمة كأحد نظريات التغير الاجتماعى فى جميع أنحاء العالم، الا فى أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين.^{١٠٠} ولذلك يرى، جوستين روزنبرج، “ أن العولمة أصبحت روح العصر

^{٩٧} وفاء إبراهيم , المرأة وقضايا التنمية الشاملة , العولمة وقضايا المرأة والعمل (أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة بكلية البنات جامعة عين شمس ٣-٤ مارس ٢٠٠٢), القاهرة, كلية الآداب , جامعة القاهرة, مركز البحوث والدراسات الاجتماعية , ٢٠٠٣, ص ٥١٩.

^{٩٨} أعتداد علام , العولمة ومشاركة المرأة فى سوق العمل الرسمى مقارنة نظرية ومنهجية العولمة وقضايا المرأة والعمل (أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة بكلية البنات جامعة عين شمس ٣-٤ مارس ٢٠٠٢), مرجع سابق, ص ١٠٣.

^{٩٩} المرجع السابق, ص ١٠٣.

¹⁰⁰ Weliam robnson , theories of globalization .

Website; (<http://kisi.deu.tr/timurcin/yalcinkaya>. 14 November 2015. 4.pm.)

من عام ١٩٩٠ فى مجال العلوم الاجتماعية . وأدت بالتالى الى تعميق الترابط والتحول الجذرى فى طبيعة المجتمع البشرى , وأستبدال نظام الدولة السيادية مع متعددة الطبقات والحكم العالمى.^{١٠١}

ويوجد العديد من التعريفات للعولمة (*) نعرض منها :

- تعريف "الصندوق الدولى" بأنها التعاون الاقتصادى المتنامى لمجموع دول العالم الذى يحتمه ازدياد التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود اضافة الى رؤوس الاموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية فى أرجاء العالم كله.^{١٠٢}
- وأعتبرها " فريدمان " الغاء الحواجز والحدود وتوحيد العالم فى وحدة واحدة مربحة من خلال سوق تنافسي تديره الشركات متعددة الجنسية.^{١٠٣} كما انها هى ثورة فى الاتصالات لها انعكاساتها الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والثقافية.^{١٠٤}
- اما " روبرتسون " فاعتبرها وعيا كونياً فى الفكر والعمل وضغط العالم فى مكان واحد , ورؤى مختلفة للعالم تتسبب فى صراع ثقافى , وعالم غير متجانس يميل الى الاتحاد والشمولية.^{١٠٥}

ويتضح من تعريف روبرتسون للعولمة اعتبارها تركيزاً للوعى فى العالم ككل , نتيجة لما صاحب العولمة من تحولات تدفق المعرفة والمعلومات عبر القوميات , وديوع مبادئ حقوق الانسان وانتشار الحركات الاجتماعية التى تنتقد انتهاكات هذه الحقوق وتدافع عن حقوق المواطنه وغيرها.

¹⁰¹Gosten rosenbery, globalization theory post modern.

Website; (<http://justin.rosenbery.virginmedia.com/uneven>).
other website([http:// www. Palgrave . journals . com](http://www.Palgrave.journals.com) .

* **التعريف اللغوى للعولمة** ؛ بعضهم يترجمها بالكونية , وبعضهم يترجمها باكوكبة. كما أن globalization وتعنى الشمولة , الا انه فى الاونه الاخيرة أشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح هو أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل الساسة والاقتصاد والاعلام . وتحليل الكلمة بالمعنى الغوى يعنى (تعميم الشئء وأكسابه الصيغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله . كما تعنى العولمة (global) اى دولى وهى مشتقة من كلمة globalism ويدور مفهوم العولمة حول village global ويرتبط بالقرية الكونية او العالمية والوجود العالمى والانتشار الكونى . (انظر: مبارك عامر , تعريف العولمة . ([website\(http: www.saaaid.net\)](http://www.saaaid.net)) وايضاً (انظر: محمد الحسينى ,العولمة وأدواتها بين النظرية والتطبيق, ١٥ مايو ٢٠١٤ الساعة ٦ مساءً [website\(http: www.daralameer.com news details. Php\)](http://www.daralameer.com/news/details.Php))

^{١٠٢} مبارك عامر , تعريف العولمة . ([website\(http: www.saaaid.net\)](http://www.saaaid.net))
^{١٠٣} أحسان حفطى , العولمة وفرص العمل لدى الطبقة الوسطى (دراسة ميدانية), جامعة الاسكندرية , مجلة كلية الاداب , العدد ٦٦ , ٢٠١١ , ص ٣٧٦ .
^{١٠٤} على جلى , هانى خميس , العولمة والحياة اليومية , القاهرة , مكتبة الانجلو المصرية , ٢٠١١ , ص ١٨ .

^{١٠٥} المرجع السابق , ص ١٩ .

- بينما يرى "جيدنز" أنها ظاهرة جديدة , ومعقدة ومتعددة الجوانب , تعود الى ثورة الاتصالات وتدايعاتها على حياتنا اليومية , وتؤثر على العام والخاص , والعالمي والمحلي , وهي عمليات متناقضة دفعت اليها قوى بنائية , وتاريخية , وثقافية.^{١٠٦}

- عرفها " بول ستريتين" هي قدرة الافراد والاعمال على الاتصال بالعالم ككل.^{١٠٧} ومن التعريفات السابقة يمكن التوصل الى أن العولمة هي :

- صياغة ايولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم اجمع باستخدام الوسائل الاعلامية , والشركات الرأسمالية الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم."

ولذلك فاين "نظرية العولمة" تهتم بتفسير الاحداث الجارية على الساحة الدولية في مجال التنمية والظروف الاقتصادية والسيناريوهات الاجتماعية , والتأثيرات السياسية والثقافية.^{١٠٨} وتعطى معنى للعيش في العالم كمكان واحد.^{١٠٩}

وللعولمة شقان أولهما : شق مادي ملموس نشأ نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي , وثورة المعلومات من خلال وسائل الاتصال والاعلام , وانتشار المحطات الفضائية التي تعم برامجها كل أرجاء الكرة الارضية , وتصل نسبياً الى غالبية البشر . وثانيهما : شق قيمى , نشأ نتيجة التوسع التنافسى للانتاج الرأسمالى الذى فرض اقتصاد السوق على العالم , وقيدة فى إطار اتفاقات عالمية , وهو ما مكن الدول الصناعية الكبرى من فرض شروط مجحفة على الدول النامية , وأصبح نقل التكنولوجيا والمعرفة أمراً باهظ التكلفة بالنسبة لهذه الدول , ومن هنا فإن "العولمة " ضمن هذا المعطى , باتت أداة إضافية لفرض الهيمنة المباشرة.^{١١٠}

أما الافتراضات الأساسية لنظرية العولمة فهي كالتالى :

- ترتبط العولمة فى كثير من الاحيان بالانساق الضخمة مثل نظم أسواق المال , والانتاج , والتجارة العالمية , ويتطور وسائل الاتصال ؛ فان اثارها تتغلغل بقوة فى حياتنا الخاصة . فالعولمة ليست عملية تجرى فى كوكب آخر بعيداً عنا ؛ فهي ظاهرة تعيش بيننا , وتعايش معها بشتى الاساليب والوسائل وقد دخلت فى سياق حياتنا الاقتصادية , والثقافية والاجتماعية من خلال مصادر غير رسمية فى كثير من

^{١٠٦} المرجع السابق.

^{١٠٧} أحسان حفظى , مرجع سابق ص ٣٧٥.

^{١٠٨} Giovanni e . reyes , theory of globalization : fundamertal basis , spring 2001.

Website : (http://sincronic . cucsh. Udg.mx .)

^{١٠٩} Word system theory : synopsis and analysis.

Website (http: sociology. Emory . edu /faculty /globalization / theories.)

^{١١٠} محمد الحسينى , مرجع سابق.

- الاحيان ؛ مثل وسائل الاعلام . والثقافة الشعبية ، والتواصل الفردى مع أشخاص آخرين من ثقافات وبلدان أخرى .^{١١١}
- تحدث العولمة تغييرات جوهرية فى طبيعة تجاربنا اليومية ؛ وترتب على ذلك إعادة تعريف الجوانب الشخصية الحميمة فى حياتنا ، مثل العائلة ، وأدور النوع الاجتماعى ، والعلاقات الجنسية ، والهوية الشخصية ، وتفاعلاتنا مع الآخرين ، وعلاقاتنا فى العمل ، وكذلك أخذت العولمة تحدث تغييراً أساسياً فى مفهومنا ، وتصورنا لأنفسنا وأرتباطنا بالناس الآخرين.^{١١٢}
- كما تسببت العولمة فى تغييرات كثيرة فى عالم العمل ، حيث تقادمت الكثير من الصناعات التقليدية مع التطورات التقنية (التكنولوجية) ، وبدأت تفقد نصيبها فى السوق ؛ وأثرت التجارة العالمية وأشكال الثقافة الجديدة فى تجمعات التصنيع التقليدية ، ولحقت البطالة بالعاملين الصناعيين الذين لا يملكون المهارات الجديدة لاقتصاد المعرفة .^{١١٣}
- والفرضية الاساسية لنظرية العولمة هى أن درجة متزايدة من التكامل بين المجتمعات تلعب دوراً حاسماً فى معظم أنواع التغييرات الاجتماعية والاقتصادية .^{١١٤}
- كما تكتسب نظم الاتصالات العالمية أهمية متزايدة كل يوم ، وخلال هذه العملية فجميع الدول تتفاعل أكثر من ذلك بكثير وبسهولة ، ليس فقط على المستوى الحكومى ولكن أيضاً ضمن المواطنين.
- على الرغم من أن الاتصالات الرئيسية أنظمة تعمل بين الدول الاكثر تقدماً ، هذه الآليات تنتشر أيضاً فى استخدامها للدول الاقل نمواً . وهذه الحقيقة تزيد من احتمال أن تكون الجماعات الهامشية فى الدول الفقيرة يمكن التواصل والتفاعل ضمن سياق عالمى باستخدام التكنولوجيا الجديدة . وبالتالي يمكن أن تدمج نفسها مع " القرية العالمية" ، والذي يمثل السيناريو الحالى فى مجال الاتصالات والمعاملات فى جميع أنحاء العالم.
- من حيث الأنشطة الاقتصادية والتقدم التكنولوجى الجديد فى مجال الاتصالات أصبحت أكثر يسراً للشركات المحلية والصغيرة . هذا الوضع خلق بيئة جديدة تماما لتنفيذ المعاملات الاقتصادية والاستفادة من الموارد الانتاجية والمعدات والمنتجات التجارية والاستفادة من " الآليات النقدية الظاهرية" .

^{١١١} على جليى ، هانى خميس ، مرجع سابق، ص ٦ .

^{١١٢} المرجع السابق ، ص ٧ .

^{١١٣} المرجع السابق ، ص ٧ .

^{١١٤} Giovanni e . reyes , theory of globalization : fundamertal basis , spring 2001

- تحول العالم الى عالم يهتم بالاقتصاد أكثر من اهتمامه باى أمر آخر بما فى ذلك الأخلاق والقيم الانسانية التى تراجعت وأستبدلت بالعلاقات السلعية والربحية ومن ثم استند التراكم الرأسمالى المعولم على أساس الاحتكار التكنولوجى والمالى والمعلوماتى والخدماتى وتحولت المعرفة والمعلومة الى سلعة إستراتيجية والى مصدر جديد للربح.^{١١٥}

- والافتراضات الاساسية لنظرية العولمة يمكن تلخيصها فى ثلاث نقاط رئيسية .
اولاً العوامل الثقافية وهى الجانب الحاسم فى كل مجتمع . ثانياً :ى الجوانب الاقتصادية فى ظل الظروف العالمية الحالية . ثالثاً : التقدم التكنولوجى الذى أحدث مزيداً من التوحيد مع القطاعات الاجتماعية وأصبحت التعاملات أسهل وأسرع مما يؤثر على المجموعات المهنية والمسيطر من كل أمة .

- ولذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأن العولمة تتعلق فقط بالأنساق الكبرى , مثل النظام المالى الكونى , وإنما تمس العولمة كل ما هو بعيد عن الفرد , وكذلك تؤثر فى كل الجوانب الشخصية والاليفة فى حياتنا ؛ بمعنى أن هناك ثورة كونية حقيقية فى حياتنا اليومية , لها تداعياتها فى مجالات كثيرة, فى مقدمتها العمل والسياسة .^{١١٦}

وفى الحقيقة فرض واقع العولمة أن يتغير مستوى التحليل فى دراسات علم الاجتماع , ويربط التحليل بين المستويين المحلى والعالمى ؛ طالما أصبحت المشكلات المحلية مشكلات عالمية والمشكلات العالمية مشكلات محلية بالضرورة .

وفى هذا الصدد وفى إطار حديثنا عن القضايا الاساسية لنظرية العولمة ؛ فيجب الإشارة الى رأى "انتونى جيدنز" باعتباره من أهم بل من أبرز من أهتم بقضية العولمة ومدى ارتباطها بحياتنا اليومية .

فيرى "جيدنز" أن الحداثة تحرر العلاقات الاجتماعية من تقيدات التفاعلات المباشرة (وجهاً لوجه) التى كانت موجودة فى النواحي المحلية لمجتمعات ما قبل الحداثة , مما يسمح بتمديد stretching العلاقات عبر الزمان والمكان وهو يمثل , بالنسبة له , جوهر العولمة. كما يرى جيدنز إن "البعد الثقافى للعولمة " * ؛ يغطى ما أسماه بالبعد الخارجى out thereness والبعد الداخلى للعولمة in thereness . أى

^{١١٥} أحسان حفظى , مرجع سابق , ص ٣٧٦.

^{١١٦} على جليلى , هانى خميس , مرجع سابق, ص ١٧.

* " البعد الثقافى للعولمة " وبالنظر الى العولمة من الناحية الثقافية يتبين أنه ينطوى على ثلاثة مفاهيم أساسية.

١- هو توحيد البشر جميعاً فى عالم واحد بدين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة .

٢- هو فرض ثقافة وحضارة ودين ولغة واحدة .

(انظر : ابراهيم محمد ابراهيم , نظرية العولمة , website: www.wata.cc forums show ,

(thwead . php. 21 February 2016. 10 pm.

العلاقة بين التحولات المنهجية الهائلة ، والتحولات فى أكثر "عوامل" تجربتنا اليومية محلية وحميمة.^{١١٧}

ووجه "جيدنز" نظرنا نحو فكرة العيش فى عالم متغير ؛ وذلك نتيجة للتحولات التكنولوجية السريعة فى طرق الاتصال الانسانى ، والغائها لحدود المكان والزمان ، وهى تحولات هائلة وجوهرية تجسدت فى ظاهرة العولمة.^{١١٨}

كما يتضح أن العولمة تقع فى القلب من الثقافة الحديثة، وتقع الممارسات الثقافية فى قلب العولمة ، وهذا لا يعنى أن العولمة هى المحدد الوحيد للتجربة الثقافية الحديثة. أو أن الثقافة بمفردها هى المفتاح الذى يفك مغالق القوة الدينامية الداخلية للعولمة. ولكنة يتمثل فى إثبات أن العمليات التحويلية transformative الهائلة لعصرنا الحديث، ولا يمكن أن تفهم على نحو صحيح حتى تدرك من خلال المفردات المفاهيمية للثقافة . فالعولمة والثقافة كلاهما مفهومان يتسمان بأعلى مراتب العمومية.^{١١٩}

ويرى " مارشال ماكلوهان " فى كتابه عن " القرية العالمية " إن النمو السريع لوسائل الاعلام نتج عنه التدفقات الثقافية العالمية .^{١٢٠} الا أنه أدى التغير الاجتماعى الناتج عن العولمة بالرغم من تعدد أبعادها (الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية) ؛ الى زيادة الترابط بين الشعوب والبلدان فى جميع أنحاء العالم وهذا أمر يتفق عليه ، ولا يوجد عليه أى جدل.

خاتمة :

ومما سبق يتضح أنه كان لتصور ميلز لمجال علم الاجتماع ومهامه نتائج منهجية عديدة، فهو لم يحاول أن يحاكي معاصريه من الباحثين فى علم الاجتماع فى تجميع المعطيات الكمية عن الظواهر الاجتماعية ، كما أنه كان يبدى تبرمة بكل أشكال التجريد وذلك لأن إهتمامه كان مركزا فى دراسة مجتمع معين فى زمان ومكان محددين ، وكان هدفه هو فهم هذا المجتمع فى حدوده التاريخية والمكانية والاجتماعية والثقافية ، وأن ينشر هذا الفهم على الناس فى المجتمع والعالم الذى يعيشون فيها ، ولهذا فهو يشكك فى إمكان الوصول إلى قوانين سوسيولوجية عامة. وأخذ ميلز بفكرة فيبر ، أن التصنيع يؤدي إلى مزيد من الترشيح الاجتماعى ، وإعتبر ميلز أن تأثيرات ذلك الترشيح هى سلبية أكثر منها إيجابية ، والتأثير الرئيسى للترشيح

^{١١٧} جون توملينسون العولمة والثقافة (تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان) ، تترجمة ايهاب عبد الرحيم محمد ، مجلة عالم المعرفة ، العدد ٢٥٤ ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب ، أغسطس ، ٢٠٠٨ ، ص ٣١ . (<http://www.marefa.org/sources/index.php>)
^{١١٨} المرجع السابق ، ص ٧ .
^{١١٩} جون توملينسون ، مرجع سلبق ، ص ٣٢ .

¹²⁰ Weliam robnsn . theories of globalization .

هو زيادة في التركيز وما يتبعه من نزعة الصفوة ، كما يؤثر الترشيح في البناء المهني ، وتتهار المشاريع الفردية بحدّة ، وفي الوقت نفسه تتزايد نسبة الموظفين المستخدمين اي الذين يعتمدون في حياتهم على وظائفهم ، وهذا بدوره يؤدي إلى زوال الأفراد المستقلين ، ونشأة فكرة الرجل الصغير الضئيل في العقل الأمريكي ، وفي هذه الحالة يستخدم مزيد من الضبط لكل مستويات البناء الإجتماعي.

ويتفق رايت ميلز مع ماركس في رأيه عن رسالة الباحث في علم الإجتماع ، فليست مهمه هذا الباحث مقصورة على تقديم وعرض المعطيات الإجتماعية التي يحصل عليها من دراساته للمجتمع ولكن قوام رسالة هذا الباحث أن يكون عوناً للإنسان العادي على ان يحدد إتجاهه في الحياة التي يعيش فيها ، وعلى أن يكتشف معالم الطريق الذي يسير فيه خلال مناهات الخبرة بالحياة اليومية التي يعيش فيها هذا الإنسان ويؤكد رايت ميلز على أهمية دراسة التفاعل بين الإنسان والمجتمع ، بين التاريخ الشخصي والتاريخ العام ، بين الذات والعالم الذي تعيش فيه هذه الذات.

وجاءت الفينومينولوجية كمحاولة جديدة لاعادة تقييم كل من المناهج وأساليب البحث والدراسة التي يجب أن تفسر من خلالها الظواهر والمشكلات الاجتماعية ، وهذا ما اكد عليه علماء الفينومينولوجي وتأكيدهم على المناهج العقلية ذات الطابع التأملي او الأستقرائي والتي تعتمد على العقل والخبرة والوعي أو الشعور الذاتي في تعقل وإدراك العالم الخارجي الطبيعي أو الاجتماعي .

وإن كنا نلاحظ أن آراء "شوتز" وارتباطها بتصورات هوسرل تتقارب كثيراً من آراء عالم الاجتماع "ماكس فيبر" ولاسيما تصوراته حول مقولة الفهم والمعنى اللتان تعتبران من أهم مكونات المنهج العلمي عند "فيبر" ولاسيما عند محاولته لوضع نظرية عن الفعل الاجتماعي.

ونلاحظ أن "شوتز" سعى لتحليل عالم الحياة اليومية في محاولة منه لدراسة كل من التجارب والأفعال الاجتماعية التقليدية والمألوفة للأفراد العاديين . ولا سيما أن العلم الاجتماعي ما هو الا محصلة لتراكم الخبرات والمواقف الاجتماعية التي تظهر في الحياة اليومية المألوفة . ومن ثم يجب علينا عندما نسعى لفهم العالم الاجتماعي ، أن نحلل أولاً طبيعة عالم الحياة ، ذلك العالم الذي يتكون من خلال تجميع الأنشطة الذاتية للأفراد . أن جميع الأفراد يسهمون في بنائه وتشكيله .

و تبين أن مصطلح " الأثنوميثودولوجي" يشير إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية في حياتهم اليومية لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الأثنوميثودولوجية . وفي هذا الصدد نجد أن (جارفنكل) وزملاؤه من الباحثين قد قدموا وقاموا بإجراء بعض الدراسات الأميركية التي تكشف عن المناهج المختلفة التي يمكن أن يستعين

بها الباحث الأنثوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث .

وتعكس نظرية ما بعد البنيوية مدى حرص الكثير من رواد هذه النظرية على إعادة تحليل الفكر السوسيولوجي والاقتصادي والثقافي عامة , كما جاء ذلك في إهتمام فوكو , وبارت , ودريدا , وهيرست الذين حاولوا الرجوع الى الماركسية الأصلية ولاسيما بعد أن تم التشكيك في آراء الماركسية المحدثة والتي لم تعد تحليلاتها حصيلة الأحداث والمشكلات التي ظهرت سواء في فرنسا معقل البنيوية وما بعد البنيوية وغيرها من دول أوربا الغربية مثل ظهور الاتجاه البريطاني لما بعد البنيوية كما تمثل ذلك في تحليلات كل من هيرست وهندس على سبيل المثال . حقيقة أننا نرى أن إسهامات نظرية ما بعد البنيوية تعد نوعاً من الإسهام النظري في مجال العلوم الاجتماعية كل وليس فقط في مجال علم الاجتماع أو النظرية السوسيولوجية المعاصرة.

و أصبحت الآثار الثقافية للعولمة. في الأونة الاخيرة مدعاة للاهتمام والدراسة؛ فقد أخذت الصور، الأفكار والسلع والاساليب الجديدة تنتشر في أنحاء العالم بصورة أسرع، وأسهمت عمليات التجارة وثقافة المعلومات ووسائل الاعلام والهجرة ؛ في انتقال الثقافات عبر الحدود الوطنية للدول . إن إنتاج الافلام وانتشارها وصناعة السينما عموماً هي منتجات ثقافة الاتصالات والمعلومات , وقد نشاهد فيها أنماط معينة من الممارسات والتصرفات ؛ قد نتعاطف مع بعضها أو نرفضها ، حسب اتفاقها أو اختلافها مع ما نحمله من قيم ومواقف , غير أنك لابد أن تتأثر بجانب منها وسواء كنت تشاهد فيلماً سينمائياً او مسلسلاً أو مشهداً تليفزيونياً، فلا بد أن تطل على منظومة معينة من القيم , وأنماط السلوك , والمواقف الاجتماعية والثقافية والسياسية والقيمية ؛ التي ستترك بدورها أثراً متفاوتاً على هويتك الشخصية والثقافية , وعلى ما تعتمدة او تمارسه من عادات وتقاليد في حياتك اليومية .

أما آراء أصحاب نظرية ما بعد الحداثة جاءت لتحليل الواقع الاجتماعي من خلال إعادة تحليل بعض الأفكار التي طرحتها النظريات السوسيولوجية الكبرى مثل آراء ماركس الأصلية وإن كانت هذه الآراء في إطار مغاير للمعالجات التي أهتمت بها النظرية البنيوية أو ما بعد البنيوية . كما لاحظنا , أن بعض الآراء جاءت من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي , وهذا ما جاء في آراء ليوتار وتصوراته حول استراتيجية الهلاك أو لرؤية هارفي لمجموعة أزمت مجتمع ما بعد الحداثة , والتي تمثلت في أزمة الانتاج ورأس المال , وأزمة النقود وغيرها من الأزمت الظاهرية التي توجد في المجتمع الحديث , ويمكن أن تكشف عن الكثير من الظواهر العلاقات الكامنه في هذا المجتمع وتعتبر المصدر الأساسي لأزماته المتعدد . بالإضافة الى ذلك جاءت محاولات بعض رواد نظرية ما بعد الحداثة لتعيد الاهتمام

بالنظرية السوسولوجية وهذا ما ظهر على سبيل المثال في آراء ميزلس عن النظرية التركيبية وضرورة العودة الى النظرية السوسولوجية , وذلك بعد أن فشلت مجموعة النظريات الاجتماعية في تفسير الواقع الاجتماعي , تلك المحاولة التي عززتها تصورات جيننز ومشروعه حول نظرية التشكيل الاجتماعي التي تؤكد على ضرورة العودة الى النظريات السوسولوجية بشرط الاهتمام بالتحليلات الشاملة والمركزة في نفس الوقت .

المصادر :

- أشرف حسن منصور ، بروليتاريا المكاتب ، رايت ميلز ، الطبقة الوسطى الأمريكية ، الحوار المتمدن ، ٢٠٠٧ www.ahewar.org
- عمار على حسن ، معنى النخبه، جريدة الوطن الألكترونية، ٢٠١٣ www.elwatannews.com
- محمد على محمد ، علم الإجتماع والمنهج العلمي دراسة فى طرق البحث وأساليبه ، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ١٥٩ .
- أمال حسن السواح - النظرية السوسولوجية عند تشارلز رايت ميلز - رسالة الماجستير فى بعض العلوم الإجتماعية ، جامعة الأسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩٥ .
- عبد الباسط عبد المعطى ، إتجاهات نظرية فى علم الإجتماع ، مجلة علم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ص ١٥١
- أنتونى جيدنز ، مقدة نقدية فى علم الإجتماع ، ترجمة أحمد زايد وآخرون ، الطبعة الثانية ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٩ .
- هانى خميس أحمد عبده ، النظرية النقدية وأزمة علم الإجتماع دراسة تحليلية للكتابات مدرسة فرانكفورت ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الأسكندرية ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٢٦ .
- عبد الباسط عبد المعطى - إتجاهات نظرية فى علم الإجتماع ، مجلة عالم المعرفة ، مرجع سابق - ص ١٥٣
- أنتونى جيدنز ، مقدمة نقدية فى علم الإجتماع ، ترجمة أحمد زايد وآخرون ، الطبعة الثانية ، مركز البحوث والدراسات الإجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ص ٣٩ .
- حمدي عبد الحميد مصطفى ، تشارلز رايت ميلز ، ٢٧ يونيو ٢٠١٠ . <http://www.hamdi.socio.blogspot.com> . 14/11.
- www.neweductors-hananwan.blogspot.com 14/11/2014.
- لطفى الأدريسى - الأثر الفكرى . Sociological imagination .htm . الأمريكية (رايت ميلز) ٢٠١٧/٢٠
- على جلبى وآخرون ، نظرية علم الإجتماع الإتجاهات الجديدة المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية، ص ٣٨٦ .
- عبدالله عبد الرحمن النظرية السوسولوجية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٠٥ .

- السيد عبد العاطى , السيد الرامخ , النظرية الاجتماعية الحديثة . كلمة للنشر والتوزيع , الاسكندرية , ٢٠١٢ , ص ١٣٠ .
- السيد عبد العاطى وأخرون , نظرية علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠٠٣ , ص ٣١١ .
- السيد الحسينى , الاتجاهات الفينومينولوجية الحديثة فى علم الاجتماع , عالم الفكر , مجلد ٢٥ , العدد ٢ ديسمبر ١٩٩٦ , ص ٧٥ .
- طلعت لطفى , كمال الزييات , النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع , دار غريب للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٩ , ص ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- السيد عبد العاطى السيد , السيد الرامخ , النظرية الاجتماعية الحديثة , كلمة للنشر والتوزيع , ٢٠١٢ , ص
- طلعت لطفى , كمال الزييات , النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع , دار غريب للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٩ , ص ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- طلعت إبراهيم لطفى , كمال عبد الحميد الزييات , النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع , دار غريب للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٩ , ص
- فاروق أحمد مصطفى , محمد عباس إبراهيم - الأنثربولوجيا الثقافية , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠١١ , ص ٢٣٧ .
- محمد عبده محجوب , طرق ومناهج البحث السوسيوأنثربولوجى , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠١١ , ص ٥٣ .
- أحمد قيطون , المنهج الأنثربولوجى , الدراسات المبدئية , جامعة رقلة , الجزائر , www.manifest.univ-ouargla-dz
- مصطفى عمر حماده وأخرون , الأنثربولوجيا (مدخل لدراسة الإنسان) , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠١٢ , ص ١٥٠ - ١٥١ .
- الان سوينجود , تاريخ النظرية فى علم الاجتماع , ترجمة: السيد عبد العاطى , الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية , ١٩٩٦ , ص ٩٥ .
- أيان كريب , النظرية الاجتماعية , ترجمة: محمد غلوم , عالم المعرفة , العدد ٢٤٤ , ابريل , ١٩٩٩ , ص ٣٣٣ .
- كينلوش , النظرية الاجتماعية , ترجمة سعيد فرح , الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية , ١٩٩٠ , ص ٣٢٠ .
- أحسان حفظى , العولمة وفرص العمل لدى الطبقة الوسطى (دراسة ميدانية) , جامعة الاسكندرية , مجلة كلية الاداب , العدد ٦٦ , ٢٠١١ , ص ٣٧٦ .
- جون توملينسون , العولمة والثقافة (تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان) , ترجمة ايهاب عبد الرحيم محمد , مجلة عالم المعرفة , العدد ٢٥٤ , الكويت , المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب , أغسطس , ٢٠٠٨ , ص ٣١ .

(<http://www.marefa.org/sources/index.php>)

c.wright mills wikipedia, the free encyclopedia
www.en.wikipedia.org

john d.brewer, imagining the sociological imagination : the
biographical context of asocial classic, british journal of
sociologg, vol 55 , 2004 . p3

[www.neweductors-](http://www.neweductors-hananwan-b.10.gspot.com) hananwan- b.10.gspot.com
2009/11/14/sociological imagination.html